الرد على الجهمية والزنادقة

عِلْمُ الْكَلَامِ بَيْنَ الْقَبُولِ وَالرَّفْضِ

يَتَسَاءَلُ كَثِيرٌ مِنْ غَيْرِ الْمُشْتَغِلِينَ بِالدِّرَاسَاتِ الْعَقَائِدِيَّةِ عَنْ مَاهِيَّةِ عِلْمِ الْكَلَامِ أَهُوَ عِلْمٌ قَدِيمٌ مُوغِلٌ فِي الْقِدَمِ, عَرَفَتْهُ الْبَشَرِيَّةُ مِنْ يَوْمِ أَنْ كَانَ لَهَا عِلْمٌ وَتَارِيخٌ, وَعَلَّمَهُ السَّابِقُ لِلَّاحِقِ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْنَا؟ .

أَمْ أَنَّهُ عِلْمٌ جَدِيدٌ مُبْتَكَرٌ أَنْشَأَتْهُ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي فَتْرَةٍ مِنْ فَتَرَاتِ تَارِيخِهَا; لِتُدَافِعَ بِهِ أَعْدَاءَهَا فِي الِاعْتِقَادِ, وَتُنَافِحَ بِأَسْلِحَتِهِ تَلْبِيسَ الْمُبْطِلِينَ وَغَارَاتِ الْمُغِيرِينَ عَلَى عَقَائِدِهَا الْإِيمَانِيَّةِ؟ .

وَالْحَقِيقَةُ -الَّتِي يُؤَيِّدُهَا الْوَاقِعُ وَالتَّارِيخُ- أَنَّ هَذَا الْعِلْمَ نَبَتَتْ جُذُورُهُ فِي دَوْلَةِ الْيُونَانِ, وَغُذِّيَتْ فُرُوعُهُ فِي مَدَارِسِهَا الْمُخْتَلِفَةِ مِنْ أَبِيقُورِيَّةٍ, وَرِوَاقِيَّةٍ, وَسُفُسْطَائِيَّةٍ, ثُمَّ زَحَفَ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِيمَا زَحَفَ, فَكَانَ -وَالْحَقُّ يُقَالُ- لِفِكْرِهَا مُشَتِّتًا, وَلِرَأْيِهَا مُفَرِّقًا, وَلِوَحْدَتِهَا مُمَزِّقًا .

وَبَقِيَ -إِلَى يَوْمِنَا هَذَا- عِلْمًا يُعْرَفُ بِهِ مِمَّنْ يَشْتَغِلُونَ فِي الْبَحْثِ عَنْ الْعَقَائِدِ وَالْمِلَلِ الْمُخْتَلِفَةِ, وَمِمَّنْ تَسْتَهْوِيهِمْ حَقَائِقُ الْوُجُودِ, وَمُغْلَقَاتُ الْكَوْنِ, وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَبْحَاثِ الْفَلْسَفِيَّةِ .

وَقَدْ وَضَعَ عُلَمَاءُ الْكَلَامِ لِعِلْمِهِمْ هَذَا تَعْرِيفَاتٍ كَثِيرَةً مُخْتَلِفَةً, تَتَبَايَنُ بِمِقْدَارِ اقْتِرَابِ صَاحِبِهَا مِنَ الْفَلْسَفَةِ أَوْ بُعْدِهِ عَنْهَا .

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُقَدِّمَ بَيْنَ يَدَيْ الْقَارِئِ أَحَدَ هَذِهِ التَّعَارِيفِ, فَإِنَّنَا نَخْتَارُ التَّعْرِيفَ الَّذِي قَدَّمَهُ ابْنُ خُلْدُونٍ فِي مُقَدِّمَتِهِ; بِاعْتِبَارِهِ يُمَثِّلُ الْمَرْحَلَةَ الْأُولَى مِنْ نَشْأَةِ هَذَا الْعِلْمِ قَبْلَ اخْتِلَاطِهِ بِالْفَلْسَفَةِ, وَقَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ يُعَبِّرُ عَنْ رَأْيِ الْأَغْلَبِيَّةِ مِمَّنْ يَشْتَغِلُونَ بِهَذَا الْعِلْمِ .

يَقُولُ ابْنُ خُلْدُونٍ "وَهُوَ عِلْمٌ يَتَضَمَّنُ الْحِجَاجَ عَنْ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ, وَالرَّدَّ عَلَى الْمُبْتَدِعَةِ الْمُنْحَرِفِينَ فِي الِاعْتِقَادَاتِ عَنْ مَذْهَبِ السَّلَفِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ" [1] .

---

١ -مقدمة ابن خلدون ص ٤٥٨ ط. المكتبة التجارية الكبرى – مصر، وقال الفارابي: "إن الكلام صناعة يقتدر بها الإنسان على نصرة الأفعال والآراء المحدودة التي صرح بها واضع الملة وتزييف كل ما خالف من الأقاويل". "إحصاء العلوم" ص ٧١ – ٧٢ .

وَالتَّعْرِيفُ الَّذِي قَدَّمَهُ ابْنُ خُلْدُونٍ يُعْطِينَا -عِنْدَ فَحْصِهِ وَتَأَمُّلِهِ- أَنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ عِلْمٌ يُدَافِعُ عَنْ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ [1] .

وَأَسْلِحَتُهُ الدِّفَاعِيَّةُ هِيَ الْعَقْلُ وَمُعِدَّاتُهُ, وَهُوَ دَائِمًا يَظْهَرُ فِي وَجْهِ الْمُبْتَدِعَةِ الضَّالِّينَ .

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ, فَبِمَاذَا يُسَمَّى الْعِلْمُ الْآخَرُ الَّذِي يَسْتَعْمِلُهُ خُصُومُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ; مِنَ الْجَهْمِيَّةِ, وَالْخَوَارِجِ, وَالْبَاطِنِيَّةِ, وَبَقِيَّةِ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ الْخَارِجِيَّةِ عَنْ مَذْهَبِ السَّلَفِ؟ .

إِنَّ صَاحِبَ كِتَابِ "كَشَّافُ اصْطِلَاحَاتِ الْفُنُونِ" يَتَسَاءَلُ أَيْضًا فَيَقُولُ "هَلْ عِلْمُ الْكَلَامِ يَشْمَلُ الدِّفَاعَ عَنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَقَطْ؟ أَوْ يَشْمَلُ كُلَّ الْعَقَائِدِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِأُصُولِ الدِّينِ؟ سَوَاءٌ مِنْهَا الْمُوَافِقُ أَوْ الْمُخَالِفُ؟ .

وَإِذَا كَانَ الْجَوَابُ بِالنَّفْيِ فَبِمَاذَا يُسَمَّى الْعِلْمُ الْآخَرُ, الْعِلْمُ الَّذِي يَسْتَعْمِلُهُ الْخُصُومُ فِي الرَّدِّ وَالْمُقَارَعَةِ وَمُحَاوَلَةِ الْغَلَبَةِ؟ أَهُوَ عِلْمُ الْجَدَلِ؟ وَإِذَا كَانَ, أَنَرَى فَرْقًا بَيْنَ عِلْمِ الْكَلَامِ وَالْجَدَلِ؟" .

يَرَى الْبَعْضُ أَنَّ كِلَيْهِمَا طَرِيقُهُ الْحِجَاجُ, وَغَايَتُهُ الِانْتِصَارُ عَلَى الطَّرَفِ الْآخَرِ, بَيْنَمَا يَرَى فَرِيقٌ آخَرُ أَنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ غَايَتُهُ تَأْيِيدُ الْعَقِيدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ النَّظَرِ الْمُسْتَقِيمِ وَالتَّمْيِيزِ الصَّحِيحِ .

أَمَّا الْجَدَلُ فَهُوَ بَحْثٌ عَنْ الْغَلَبَةِ وَالْإِلْزَامِ بِالْحُجَّةِ, قَدْ يَرْمِي إِلَى الْكَسْبِ وَالدِّفَاعِ عَنْ مَصْلَحَةٍ مَطْلُوبَةٍ, وَقَدْ يَتَحَرَّى مُجَرَّدَ الْمُسَابَقَةِ لِلْفَوْزِ عَلَى الْخَصْمِ وَإِفْحَامِهِ فِي مَجَالِ الْمُنَاقَضَةِ وَاللِّجَاجِ .

وَقَدْ ضُرِبَ الْمَثَلُ بِالْجَدَلِ "الْبِيزَنْطِيِّ" فِي طُولِ اللَّجَاجَةِ, وَسُوءِ الْعَاقِبَةِ, وَقِلَّةِ الْجَدْوَى .

وَمِمَّا يُحْكَى عَنْ أُسْتَاذٍ "بِيزَنْطِيٍّ" أَنَّهُ اتَّفَقَ مَعَ تِلْمِيذٍ لَهُ عَلَى أَنْ يُخْرِجَهُ لِلدِّفَاعِ فِي الْقَضَاءِ وَالْمُنَازَعَاتِ الْعَامَّةِ, خِلَالَ عَامَيْنِ بِأَجْرٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ, فَلَمَّا انْتَهَى الْعَامَانِ طَلَبَ الْأُسْتَاذُ أَجْرَهُ, وَقَالَ التِّلْمِيذُ بَلْ أُنَاقِشُكَ فِي هَذَا الْأَجْرِ; هَلْ تَسْتَحِقُّهُ بِعَمَلِكَ, أَوْ تَطْلُبُهُ بِغَيْرِ حَقٍّ؟ .

فَإِنْ أَقْنَعْتُكَ بِأَنَّكَ لَا تَسْتَحِقُّ فَلَا حَقَّ لَكَ فِيهِ بِاعْتِرَافِكَ, وَسُكُوتُكَ حُجَّةٌ عَلَى هَذَا الِاعْتِرَافِ .

---

١ – قال الغزالي: "لَمَّا نشأت صيغة الكلام، وكثر الخوض فيه، تَشَوَّق المتكلمون إلى محاولة الذَّبِّ عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور، وخاضوا في البحث عن الجواهر والأعراض وأحكامها، ولكن لَمَّا لَمْ يَكُنْ ذلك مقصودهم، لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القُصوى (المنقذ من الضلال – فصل علم الكلام).

وَإِنْ لَمْ أُقْنِعْكَ فَلَا حَقَّ لَكَ فِيهِ, لِأَنَّكَ لَمْ تُعَلِّمْنِي كَيْفَ أُقِيمُ الْبُرْهَانَ عَلَى دَعْوَايَ .

وَكَانَ جَوَابُ الْأُسْتَاذِ كَمِثَالٍ تِلْمِيذِهِ, مَثَلًا لِلْبُرْهَانِ الْمَطْلُوبِ فِي هَذِهِ الصِّنَاعَةِ فَقَالَ لَهُ إِنِّي أَقْبَلُ أَنْ أُنَاقِشَكَ, وَلَكِنْ عَلَى غَيْرِ النَّتِيجَةِ الَّتِي خَلَصْتَ إِلَيْهَا "أُنَاقِشُكَ فِي حَقِّي, فَتُعْطِيهِ مَرَّةً إِذَا ثَبَتَ عَلَيْكَ, وَتُعْطِيهِ مَرَّتَيْنِ إِذَا لَمْ أُثْبِتْهُ أَمَامَكَ; لِأَنَّنِي عَلَّمْتُ تِلْمِيذًا مَا يَغْلِبُ بِهِ أُسْتَاذَهُ" .

يَقُولُ الْأُسْتَاذُ الْعَقَّادُ "وَإِنْ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَدْ سَبَقُوا الْبِيزَنْطِيِّينَ إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْمُجَادَلَاتِ وَالشَّحْنَاءِ, وَجَاءَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَوَجَدَ فِيهِمْ طَائِفَةَ الْكَتَبَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ لَا عَمَلَ لَهَا غَيْرَ اخْتِلَاقِ الْحِيَلِ وَالشِّرَاكِ لِاقْتِنَاصِ النَّاسِ بِمُغَالَطَاتِ الْأَلْفَاظِ وَأَلَاعِيبِ الْحَذْلَقَةِ وَالتَّمْوِيهِ" [1] .

وَفِي عَصْرِ الْيُونَانِ -وَعَنْ طَرِيقِ الْجَدَلِ- اخْتَلَفَ "انْكِسِيمَنْدَرُ" عَنْ "طَالِيسَ" وَاخْتَلَفَ "هَرْقَلِيطُ" عَنْهُمَا, وَلَمْ يَتَّفِقْ "سُقْرَاطُ" مَعَ " أَفْلَاطُونَ" .

حَدَثَ هَذَا فِي دَوْلَةِ الْيُونَانِ, الدَّوْلَةِ الَّتِي صَنَعَتْ "الضَّوَابِطَ الْعَقْلِيَّةَ", وَصَاحِبَةِ "الْمَنْطِقِ الصُّورِيِّ" وَقَوَاعِدِهِ الْمُخْتَلِفَةِ مِنْ قَضَايَا وَقِيَاسٍ وَاسْتِقْرَاءٍ وَأَشْكَالٍ, الْمَنْطِقُ الَّذِي يَقُولُونَ عَنْهُ بِأَنَّهُ آلَةٌ تَعْصِمُ الذِّهْنَ عَنْ الْخَطَأِ" .

فَهَلْ عُصِمَ ذِهْنُهُمْ عَنْ الْخَطَأِ؟! وَهَلْ حَالَ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اخْتِلَافِهِمْ فِي أَبْسَطِ قَوَاعِدِ الْمَعْرِفَةِ؟ اللَّهُمَّ لَا .

لِمَاذَا؟ لِأَنَّ الْعَقْلَ الْإِنْسَانِيَّ -مَهْمَا وَصَلَ إِلَى دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ مِنْ النُّضْجِ وَالسَّدَادِ- هُوَ فِي حَاجَةٍ إِلَى وَحْيٍ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وَحْيٌ يَرْسِمُ لَهُ الطَّرِيقَ فَلَا يَضِلُّ, وَيُوَضِّحُ لَهُ الْمَزَالِقَ فَلَا يَنْحَرِفُ, وَيُحَدِّدُ لَهُ أَهْدَافَ حَيَاتِهِ, فَلَا تُلْقِي بِهِ الْأَهْوَاءُ يَمْنَةً أَوْ يَسْرَةً .

---

١ " -التفكير فريضة إسلامية" – عباس محمود العقاد .

وَحَتَّى بَعْدَ أَنْ جَاءَ الْإِسْلَامُ لَمْ يَتَوَقَّفْ الْجَدَلُ وَالْحِوَارُ, وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَتَعَرَّفَ عَلَى آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَجَدْنَاهَا تَرْصُدُ الْكَثِيرَ مِنْ جِدَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[1] .

وَيُقَرِّرُ الْقُرْآنُ أَنَّ جِدَالَهُمْ لَا يَعْتَمِدُ عَلَى حَقٍّ, وَلَا يُنْبِئُ عَنْ صِدْقٍ, قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَـٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَـٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾[2] .

فَإِذَا تَعَلَّقَ الْجِدَالُ بِأَمْرِ الْأُلُوهِيَّةِ, وَبِذَاتِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- كَانَتْ مُجَادَلَتُهُمْ مُكَابَرَةً بِغَيْرِ دَلِيلٍ, وَدَعْوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَـٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿٣﴾ ﴾[3] .

وَقَالَ أَيْضًا: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَـٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ﴾[4] .

وَسَاعَدَ عَلَى اسْتِمْرَارِ الْجَدَلِ وَتَنَوُّعِهِ, مَا كَانَ يُجَاوِرُ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ مِنْ أَبْنَاءِ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ .

وَعَلَى الرَّغْمِ مِمَّا كَانُوا يُشِيعُونَهُ عَنْ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ وَنَبِيِّهِ مِنْ الشُّكُوكِ وَالْمُفْتَرَيَاتِ, فَإِنَّ الْإِسْلَامَ أَمَرَ أَتْبَاعَهُ بِاسْتِعْمَالِ الرِّفْقِ مَعَهُمْ, وَمُجَادَلَتِهِمْ -إِنْ دَعَتْ الْحَاجَةُ- بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .

---

١ - سورة الحج آية : ٦٨.

٢ -سورة الكهف آية : ٥٦ .

٣ - سورة الحج آية : ٣.

٤ -سورة الحج آية : ٨ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [1] .

وَمَعَ اسْتِمْرَارِ الْمُعَامَلَةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي اتَّبَعَهَا الْمُسْلِمُونَ مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمَعَ غَيْرِهِمْ, كَانَ الْيَهُودُ يَعْمَلُونَ لَيْلَ نَهَارٍ ضِدَّ الصَّفِّ الْإِسْلَامِيِّ, وَالدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ, وَمُحَاوَلَةِ تَشْكِيكِ الْمُسْلِمِينَ فِي نَبِيِّهِمْ وَرِسَالَتِهِمْ, وَاتَّبَعُوا فِي سَبِيلِ الْوُصُولِ إِلَى أَهْدَافِهِمْ شَتَّى الْحِيَلِ وَالْأَسَالِيبِ .

حَكَى ابْنُ هِشَامٍ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْيَهُودِ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيَسْأَلُوهُ هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ .

وَأَخْرَجَ الْهَرَوِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ الشَّيْطَانَ ظَهَرَ فِي صُورَةِ رَجُلٍ تَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ فِي مَجْلِسِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَخَذَ يَسْأَلُ مَنْ خَلَقَ النَّاسَ؟ مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ مَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ [2] ."

عِلْمُ الْكَلَامِ بَيْنَ الْقَبُولِ وَالرَّفْضِ

وَيُؤَيِّدُ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ فِي بَابِ الْإِيمَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : ﴿ لَا يَزَالُ النَّاسُ يَسْأَلُونَكُمْ عَنِ الْعِلْمِ حَتَّى يَقُولُوا هَذَا اللَّهُ خَلَقَنَا فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ ﴾ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه فَبَيْنَمَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ جَاءَنِي نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ فَقَالُوا "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ, هَذَا اللَّهُ خَلَقَنَا فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ .

فَأَخَذَ حَصًى بِكَفِّهِ فَرَمَاهُمْ بِهِ, ثُمَّ قَالَ قُومُوا, صَدَقَ خَلِيلِي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-" [3] .

وَيَرْوِي أَبُو سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ

.

١ -سورة العنكبوت آية : ٤٦ .

٢ - "صون المنطق والكلام": جلال الدين السيوطي.

٣ -صحيح الإمام مسلم: باب الإيمان .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [1] [2] .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: ﴿ كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ بَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَتَذَاكَرُ: يَنْزِعُ هَذَا بِآيَةٍ, وَيَنْزِعُ هَذَا بِآيَةٍ, فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ فَقَالَ "يَا هَؤُلَاءِ أَبِهَذَا بُعِثْتُمْ أَمْ بِهَذَا أُمِرْتُمْ لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ﴾ [3] .

صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَاذَا يَكُونُ بَعْدَ الْجِدَالِ وَالْمُشَاحَنَةِ وَمَاذَا تُنْتِجُ غَيْرَ الْكُفْرِ, وَالْحَرْبِ الَّتِي لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ فَهَلْ اسْتَمَعَ هَؤُلَاءِ إِلَى وَصِيَّةِ نَبِيِّهِمْ وَاسْتَجَابُوا لِمَا دَعَاهُمْ لَهُ .

لَقَدْ مَاتَ الرَّسُولُ, وَالْمُسْلِمُونَ أَمْرُهُمْ جَمِيعٌ, يَعْرِفُونَ دِينَهُمْ, وَيُنَفِّذُونَ تَعَالِيمَ رَبِّهِمْ, غَيْرَ هَنَاتٍ صَغِيرَةٍ, وَفِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ انْشَغَلَ الْمُسْلِمُونَ بِحُرُوبِ الرِّدَّةِ, وَجَاءَ عَهْدُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ فَقَدِمَ عَلَيْهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ "صَبِيغٌ", فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ, فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ –وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ– فَقَالَ مَنْ أَنْتَ .

قَالَ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ صَبِيغٌ فَأَخَذَ عُرْجُونًا مِنْ تِلْكَ الْعَرَاجِينِ, فَضَرَبَهُ حَتَّى دَمِيَ رَأْسُهُ, ثُمَّ عَادَ لَهُ, ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى بَرَأَ, فَدَعَا بِهِ لِيَعُودَ, فَقَالَ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ قَتْلِي فَاقْتُلْنِي قَتْلًا جَمِيلًا .

فَأَذِنَ لَهُ إِلَى أَرْضِهِ, وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنْ لَا يُجَالِسَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

وَأَخْرَجَ نَصْرٌ الْمَقْدِسِيُّ وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ أَنَّ عُمَرَ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ أَنْ لَا يُجَالِسُوا صَبِيغًا, وَلَا يُبَايِعُوهُ, وَإِنْ مَرِضَ فَلَا يَعُودُوهُ وَإِنْ مَاتَ فَلَا يَشْهَدُوهُ" [4] .

---

١ -سورة الإخلاص آية : ١ .

٢ – "الرد على الجهمية" للإمام أبي سعيد الدَّارِميّ.

٣ -رواه الطَّبَرَانِيُّ في الكبير والأوسط، والبَزَّار، وعن أنس مثله .

٤ – "صون المنطق والكلام": لجلال الدين السيوطي تحقيق.

وَأَخْرَجَ نَصْرٌ -أَيْضًا- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ يَسْأَلُهُ عَنْ الْقُرْآنِ أَمَخْلُوقٌ هُوَ أَوْ غَيْرَ مَخْلُوقٍ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ "هَذِهِ كَلِمَةٌ وَسَيَكُونُ لَهَا ثَمَرَةٌ, وَلَوْ وُلِّيتُ مِنَ الْأَمْرِ مَا وُلِّيتُ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ" .

أَتَكُونُ هَذِهِ الْوَسَاوِسُ وَالْخَطَرَاتُ الَّتِي كَانَتْ تَهْجِسُ فِي دَاخِلِ بَعْضِ النُّفُوسِ- لَهَا دَخْلٌ فِي إِنْشَاءِ عِلْمِ الْكَلَامِ .

أَمْ أَنَّ وَرَاءَ إِنْشَائِهِ وَإِيجَادِهِ أَسْبَابًا أُخْرَى غَيْرَ الَّتِي ذَكَرْنَا دَفَعَتِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى طَرِيقِ الْجَدَلِ وَاصْطِنَاعِ عِلْمِ الْكَلَامِ؟ .

وَقَبْلَ الْإِجَابَةِ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ تَلِحُّ عَلَيْنَا أَسْئِلَةٌ أُخْرَى هَلْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ حِينَ قَامَ؟ وَهَلْ يَكُونُ الْمُسْلِمُونَ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ الْيَوْمَ؟ وَهَلْ يُعْطِينَا دَرْسُ نَشْأَتِهِ عِبْرَةَ اسْتِمْرَارِهِ [1] .

إِنَّنَا نَرَى -وَيُشَارِكُنَا فِي رَأْيِنَا هَذَا كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ- أَنَّ تَطَلُّعَ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى تُرَاثِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ -كَدَوْلَةِ الْفُرْسِ وَالْيُونَانِ- وَعُكُوفَهُمْ عَلَى تَرْجَمَةِ هَذِهِ الْكُتُبِ عَامِلٌ جَوْهَرِيٌّ فِي تَعَرُّفِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى عِلْمِ الْكَلَامِ, وَحَذْقِهِمْ لِأَدَوَاتِهِ أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ أَيْضًا تَسَرُّبَ الْأَفْكَارِ الْيَهُودِيَّةِ وَالْمَسِيحِيَّةِ إِلَى بَعْضِ مُفَكِّرِي الْمُسْلِمِينَ عَنْ طَرِيقِ الْجِوَارِ وَالِاحْتِكَاكِ .

وَمِنْ هَذِهِ الْأَفْكَارِ مَا رَدَّدَتْهُ الْجَهْمِيَّةُ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَجْبُورٌ تَمَامًا عَلَى فِعْلِ أَفْعَالِهِ, وَهِيَ تُنْسَبُ إِلَيْهِ كَمَا تُنْسَبُ الْأَفْعَالُ إِلَى الْجَمَادَاتِ .

وَمَا رَدَّدَتْهُ الْمُعْتَزِلَةُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَفْعَلُ الْأَفْعَالَ بِاخْتِيَارِهِ, وَيَخْلُقُهَا بِقُدْرَتِهِ .

وَهَذَانِ الْمَذْهَبَانِ -فِي نَفْيِ الْقَدَرِ وَإِثْبَاتِهِ - هُمَا مَذْهَبُ الْأَبِيقُورِيِّينَ الْقَائِلِينَ بِحُرِّيَّةِ الْإِرَادَةِ, وَمَذْهَبُ الرِّوَاقِيِّينَ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ مُسَيَّرٌ لَا مُخَيَّرٌ .

ثُمَّ مَذْهَبَانِ مُمَاثِلَانِ لِلْيَهُودِ فَمِنْهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ يَنْفُونَ الْقَدَرَ, وَالْقَرَّاءُونَ يَقُولُونَ بِالْجَبْرِ .

١ -سبق أن تساءل هذه الأسئلة الدكتور يحيى فرغلي هاشم في كتابه "نشأة علم الكلام ."

ثُمَّ مَذْهَبَانِ تَالِيَانِ مَسِيحِيَّانِ فَالْمَسِيحِيُّونَ الشَّرْقِيُّونَ يَقُولُونَ إِنَّ الْإِنْسَانَ مُخَيَّرٌ, وَالْآخَرُونَ يَقُولُونَ بِالْجَبْرِ [1] .

لَقَدْ نَادَى جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ, وَرَدَّدَتْ مَدْرَسَةُ الِاعْتِزَالِ مَا قَالَهُ جَهْمٌ, وَاسْتَعَانَتْ بِنُفُوذِ السُّلْطَةِ الْحَاكِمَةِ لِإِجْبَارِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى ذَلِكَ, وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِلَّا تَرْدِيدًا لِلْأَفْكَارِ الْيَهُودِيَّةِ الْمُنْحَرِفَةِ .

وَالْمُؤَرِّخُونَ يَرْوُونَ فِي صَدَدِ فِكْرَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ سِلْسِلَةً يَصِلُ سَنَدُهَا إِلَى لَبِيدِ بْنِ أَعْصَمَ الْيَهُودِيِّ الْقَائِلِ بِخَلْقِ التَّوْرَاةِ .

فَالْفِكْرَةُ يَهُودِيَّةُ الْأَصْلِ, وَمِمَّنْ رَوَّجَ لَهَا بِشْرٌ الْمَرِيسِيُّ, وَأَبُوهُ يَهُودِيٌّ صَبَّاغٌ بِالْكُوفَةِ .

وَلَمَّا عَرَفَ الرَّشِيدُ قَوْلَهُ حَلَفَ أَنْ يَقْتُلَهُ, فَاخْتَفَى طُولَ عَهْدِهِ, لِيَظْهَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي بَلَاطِ الْمَأْمُونِ [2]

.

مِنْ هُنَا نَرَى أَنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ وَالْجَدَلِ غَرِيبَانِ عَلَى الْبِيئَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ, وَقَدْ وَفَدَ إِلَيْهَا مِنْ خَلْفِ السُّدُودِ وَالْحُدُودِ, وَكَانَ هَذَا بِدَايَةً لِلْغَزْوِ الْفِكْرِيِّ الْمُنَظَّمِ الَّذِي شَنَّتْ جُيُوشُهُ غَارَاتِهَا بِانْتِظَامٍ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ, فَأَصَابَتْ مِنْهَا مَقَاتِلَ, وَلَكِنَّهَا لَمْ تُجْهِزْ عَلَيْهَا .

وَمِصْدَاقًا لِمَا نَقُولُ مَا يَرْوِيهِ الْمُؤَرِّخُونَ مِنْ أَنَّ كِتَابًا أَلَّفَهُ يَحْيَى الدِّمَشْقِيُّ فِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ لِلْهِجْرَةِ, وَكَانَ هُوَ وَتُيُودُورُ أَبُو قُرَّةَ يُنَاقِشَانِ الْمُسْلِمِينَ فِي الدِّينِ – وَفِي هَذَا الْكِتَابِ يُدَرِّبُ النَّصَارَى عَلَى زَعْزَعَةِ عَقَائِدِ الْمُسْلِمِينَ بِقَوْلِهِ: إِذَا قَالَ لَكَ الْعَرَبِيُّ مَا تَقُولُ فِي الْمَسِيحِ فَقُلْ إِنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ ثُمَّ لِيَسْأَلْ النَّصْرَانِيُّ الْمُسْلِمَ بِمَ سُمِّيَ الْمَسِيحُ فِي الْقُرْآنِ .

وَلْيَرْفُضْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ حَتَّى يُجِيبَ الْمُسْلِمُ, فَإِنَّهُ سَيُضْطَرُّ إِلَى أَنْ يَقُولَ كَلِمَةُاللَّهِ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَإِنْ أَجَابَ بِذَلِكَ فَاسْأَلْهُ هَلْ كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحُهُ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ .

---

١ – راجع في ذلك كتاب "أحمد بن حنبل" للأستاذ عبد الحليم الجندي، ص ٤٠٥ وما بعدها.

٢ -راجع "تلبيس إبليس" لابن الجوزي عند فصل "النهي عن الخوض في علم الكلام ."

فَإِنْ قَالَ مَخْلُوقٌ فَلْيَرُدَّ عَلَيْهِ بِأَنَّ اللَّهَ إِذَنْ كَانَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كَلِمَةٌ وَلَا رُوحٌ, فَإِنْ قُلْتَ ذَلِكَ فَسَيُفْحَمُ الْعَرَبِيُّ لِأَنَّ مَنْ يَرَى هَذَا الرَّأْيَ زِنْدِيقٌ فِي نَظَرِ الْمُسْلِمِينَ [1] .

وَبِمِثْلِ هَذَا ظَهَرَ الْخِلَافُ الْمُدَمِّرُ, وَتَعَكَّرَ الصَّفْوُ, وَتَفَرَّقَ الشَّمْلُ, وَتَعَدَّدَتْ الْفِرَقُ, وَتَبَايَنَتْ الْأَقْوَالُ .

وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي كِتَابِهِ "تَلْبِيسِ إِبْلِيسَ" يُصَوِّرُ لَنَا مَا حَدَثَ فِي الْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ نَتِيجَةً لِهَذِهِ الْأَفْكَارِ وَالْآرَاءِ الْغَرِيبَةِ الْمُنَافِيَةِ لِلْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ الْمُنَزَّلَةِ, فَيَقُولُ "لَقَدْ أَفْضَى هَذَا بِالْمُعْتَزِلَةِ إِلَى أَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَعْلَمُ جُمَلَ الْأَشْيَاءِ, وَلَا يَعْلَمُ تَفَاصِيلَهَا" .

وَقَالَ جَهْمٌ عِلْمُ اللَّهِ وَقُدْرَتُهُ وَحَيَاتُهُ مُحْدَثَةٌ .

وَرَوَى أَبُو مُحَمَّدٍ النُّوبَخْتِيُّ عَنْ جَهْمٍ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيْسَ بِشَيْءٍ [2] .

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْجُبَّائِيُّ وَأَبُو هَاشِمٍ وَمَنْ تَابَعَهُمَا مِنَ الْبَصْرِيِّينَ الْمَعْدُومُ شَيْءٌ وَذَاتٌ وَنَفْسٌ, وَجَوْهَرٌ, وَبَيَاضٌ وَصُفْرَةٌ, وَحُمْرَةٌ, وَأَنَّ الْبَارِيَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لَا يَقْدِرُ عَلَى جَعْلِ الذَّاتِ ذَاتًا وَلَا الْعَرَضِ عَرَضًا, وَلَا الْجَوْهَرِ جَوْهَرًا, وَإِنَّمَا هُوَ قَادِرٌ عَلَى إِخْرَاجِ الذَّاتِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ .

أَمَّا لِمَاذَا اخْتَلَفَ رِجَالُ الْكَلَامِ وَتَبَايَنَتْ أَقْوَالُهُمْ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى الْعُجْمَةِ الَّتِي أَصَابَتْ الْمُسْلِمِينَ; بِسَبَبِ عُكُوفِهِمْ عَلَى الْفِكْرِ الْأَجْنَبِيِّ, وَإِهْمَالِهِمْ لُغَةَ الْقُرْآنِ وَأَسَالِيبَ الْعَرَبِيَّةِ .

يَقُولُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ ﵁ "مَا جَهِلَ النَّاسُ وَلَا اخْتَلَفُوا إِلَّا لِتَرْكِهِمْ لِسَانَ الْعَرَبِ, وَمَيْلِهِمْ إِلَى لِسَانِ أَرِسْطَاطَالِيسَ" [3] .

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ, عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ "إِنَّمَا أَهْلَكَتْهُمْ الْعُجْمَةُ" .

---

١ - "أحمد بن حنبل" عبد الحليم الجندي، ص ٤٠٦ بتصرف.

٢ " -تلبيس إبليس"، ص ٨٤ للإمام أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي ط. محمود مهدي استانبولي .

٣ - أورد هذا النص قاضي المسلمين الحافظ عز الدين ابن قاضي القضاة بَدْر الدِّين بْن جَمَاعَة في تذكرته.

وَيَرَى الْإِمَامُ السُّيُوطِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمَارِقِينَ أَخَذُوا يُؤَوِّلُونَ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ النَّبَوِيَّ عَلَى مُصْطَلَحِ لِسَانِ يُونَانَ, وَمُنْطَلِقِ أَرِسْطَاطَالِيسَ وَمَا نَزَلَ الْقُرْآنُ إِلَّا بِلُغَةِ الْعَرَبِ وَبِبَيَانِ الْعَرَبِ, قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾[1] .

فَمَنْ عَدَلَ عَنْ لِسَانِ الشَّرْعِ إِلَى لِسَانِ غَيْرِهِ, وَخَرَجَ عَنْ الْوَارِدِ مِنْ نُصُوصِ الشَّرْعِ جَهِلَ وَضَلَّ .

وَيُؤَيِّدُ مَا قَالَهُ الْأَئِمَّةُ الْأَجِلَّاءُ مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ, قَالَ جَاءَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ إِلَى أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ يُنَاظِرُهُ فِي وُجُوبِ عَذَابِ الْفَاسِقِ, فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا عَمْرٍو, اللَّهُ يُخْلِفُ وَعْدَهُ؟ .

فَقَالَ لَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ .

فَقَالَ عَمْرٌو فَقَدْ قَالَ وَذَكَرَ آيَةَ وَعِيدٍ .

فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ مِنَ الْعُجْمَةِ أُتِيتَ الْوَعِيدُ غَيْرَ الْإِيعَادِ, ثُمَّ أَنْشَدَ

وَإِنِّـــي وَإِنْ أَوْعَدْتُـــهُ وَوَعَدْتُـــهُ لَمُخْلِـــفُ إِيعَـــادِي وَمُنْجِـــزُ مَوْعِـــدِي[2]

---

١ -سورة إبراهيم آية : ٤ .

٢ -"صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام" للسيوطي، ص٢٢.

هَلْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ

وَنَصِلُ إِلَى السُّؤَالِ الثَّانِي هَلْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ بِحَاجَةٍ إِلَى عِلْمِ الْكَلَامِ حِينَ قَامَ؟ .

يَرَى بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْعَقَائِدَ ثَابِتَةٌ فِي الْقُرْآنِ, وَأَوْضَحَتْهَا السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ, فَلَا حَاجَةَ إِذَنْ إِلَى عِلْمِ الْكَلَامِ .

هَذَا عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ هُوَ عِلْمٌ يُقْتَدَرُ مَعَهُ عَلَى إِثْبَاتِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ عَلَى الْغَيْرِ, بِإِيرَادِ الْحُجَجِ وَدَفْعِ الشُّبَهِ, كَمَا يَقُولُ "التَّفْتَازَانِيُّ" فِي شَرْحِهِ لِلْعَقَائِدِ الْعَضُدِيَّةِ [1] .

وَيَقُولُونَ أَيْضًا لَوْ كَانَ عِلْمُ الْكَلَامِ هُدًى وَرَشَادًا لَتَكَلَّمَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ وَخُلَفَاؤُهُ وَأَصْحَابُهُ, وَلِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَمُتْ حَتَّى تَكَلَّمَ فِي كُلِّ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ, وَبَيَّنَهُ بَيَانًا شَافِيًا, وَلَمْ يَتْرُكْ بَعْدَهُ لِأَحَدٍ مَقَالًا فِيمَا لِلْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِ حَاجَةٌ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ, وَمَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَيُبَاعِدُهُمْ عَنْ سَخَطِهِ فَلَمَّا لَمْ يَرْوُوا عَنْهُ الْكَلَامَ فِي شَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّ الْكَلَامَ فِيهِ بِدْعَةٌ, وَالْبَحْثَ عَنْهُ ضَلَالَةٌ; لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَيْرًا لَمَا فَاتَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ- وَلَتَكَلَّمُوا فِيهِ .

وَقَالُوا أَيْضًا وَلِأَنَّهُ لَيْسَ يَخْلُو ذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ إِمَّا أَنْ يَكُونُوا عَلِمُوهُ فَسَكَتُوا عَنْهُ, أَوْ لَمْ يَعْلَمُوهُ, بَلْ جَهِلُوهُ .

فَإِنْ كَانُوا عَلِمُوهُ وَلَمْ يَتَكَلَّمُوا فِيهِ وَسِعَنَا -أَيْضًا- نَحْنُ السُّكُوتُ عَنْهُ, كَمَا وَسِعَهُمْ السُّكُوتُ عَنْهُ, وَوَسِعَنَا تَرْكُ الْخَوْضِ فِيهِ كَمَا وَسِعَهُمْ تَرْكُ الْخَوْضِ فِيهِ؛ وَلِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنْ الدِّينِ مَا وَسِعَهُمْ السُّكُوتُ عَنْهُ وَإِنْ كَانُوا لَمْ يَعْلَمُوهُ وَسِعَنَا جَهْلُهُ, كَمَا وَسِعَ أُولَئِكَ جَهْلُهُ; لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنْ الَّذِينَ لَمْ يَجْهَلُوهُ فَعَلَى كِلَا الْوَجْهَيْنِ الْكَلَامُ فِيهِ بِدْعَةٌ, وَالْخَوْضُ فِيهِ ضَلَالَةٌ [2] .

وَلَسْنَا فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ, كَمَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ الْأُوَلُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْهِ.

---

١ - راجع شرح العقائد العضدية، والمواقف لعضد الدين الإيجي، جـ ١.

٢ -رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام، لأبي الحسن الأشعري، نشرها يوسف مكارثي في ذيل كتاب "اللمع" للأشعري .

مَوْقِفُ السَّلَفِ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ

وَيَكَادُ السَّلَفُ الصَّالِحُ وَالتَّابِعُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ يَتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ بِدْعَةٌ, وَبِدْعَةٌ كَانَ لَهَا أَكْبَرُ الْأَثَرِ فِي تَشْتِيتِ الْمُسْلِمِينَ, وَتَشْتِيتِ وِحْدَتِهِمْ .

حَتَّى الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ خَدَعَهُمْ بَرِيقُ الْجَدَلِ, وَأَخَذَ بِلُبِّهِمْ بَهْرَجُهُ الزَّائِفُ عَادُوا فِي أُخْرَيَاتِ حَيَاتِهِمْ يَتُوبُونَ مِنْهُ, وَيُوصُونَ غَيْرَهُمْ بِالْبُعْدِ عَنْهُ, وَعَدَمِ الِاقْتِرَابِ مِنْ مَنْهَلِهِ .

يُرْوَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سِنَانٍ قَالَ كَانَ الْوَلِيدُ بْنُ أَبَانَ الْكَرَابِيسِيُّ خَالِيَ, فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِبَنِيهِ "تَعْلَمُونَ أَحَدًا أَعْلَمُ بِالْكَلَامِ مِنِّي .

قَالُوا لَا .

قَالَ فَتَتَّهِمُونِي .

قَالُوا لَا .

قَالَ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ أَتَقْبَلُونَ .

قَالُوا نَعَمْ .

قَالَ عَلَيْكُمْ بِمَا عَلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ; فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحَقَّ مَعَهُمْ" .

وَكَانَ أَبُو الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيُّ يَقُولُ لَقَدْ جُلْتُ أَهْلَ الْإِسْلَامِ جَوْلَةً وَعُلُومَهُمْ, وَرَكِبْتُ الْبَحْرَ الْأَعْظَمَ, وَغُصْتُ فِي الَّذِي نُهُوا عَنْهُ, كُلُّ ذَلِكَ فِي طَلَبِ الْحَقِّ, وَهَرَبًا مِنْ التَّقْلِيدِ, وَالْآنَ فَقَدْ رَجَعْتُ عَنْ الْكُلِّ إِلَى كَلِمَةِ الْحَقِّ, عَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعَجَائِزِ, فَإِنْ لَمْ يُدْرِكْنِي الْحَقُّ بِلَطِيفِ بِرِّهِ, فَأَمُوتُ عَلَى دِينِ الْعَجَائِزِ, وَيُخْتَمُ عَاقِبَةُ أَمْرِي عِنْدَ الرَّحِيلِ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ, فَالْوَيْلُ لِابْنِ الْجُوَيْنِيِّ .

وَكَانَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ "يَا أَصْحَابَنَا لَا تَشْتَغِلُوا بِالْكَلَامِ, فَلَوْ عَرَفْتُ أَنَّ الْكَلَامَ يَبْلُغُ بِي مَا بَلَغَ مَا تَشَاغَلْتُ بِهِ [1] ".

---

١ - "تلبيس إبليس" لابن الجوزي، ص ٨٤ - ٨٥ و"طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي، جـ ٣، ص ٦٠.

قَالَ هَذَا رَجُلٌ عَاشَ حَيَاتَهُ فِي مُجَادَلَةِ الْخُصُومِ, وَمُنَاقَشَةِ الْعُلَمَاءِ, وَوَضَعَ كِتَابَيْنِ عَلَى نَمَطِ مَنْهَجِ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ هُمَا "الْإِرْشَادُ" [1] و"الشَّامِلُ فِي أُصُولِ الدِّينِ" .

وَيَطِيبُ لِي أَنْ نَسْتَعْرِضَ آرَاءَ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ .

فَالْإِمَامُ مَالِكٌ ﷺ صَاحِبُ كِتَابِ "الْمُوَطَّأ" يُوصِي أَصْحَابَهُ بِقَوْلِهِ "إِيَّاكُمْ وَالْبِدَعَ" .

قِيلَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ, وَمَا الْبِدَعُ؟ .

قَالَ "أَهْلُ الْبِدَعِ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ, وَكَلَامِهِ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ, وَلَا يَسْكُتُونَ عَمَّا سَكَتَ عَنْهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ" [2] .

وَيَرْوِي ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ "الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٦٣ – م" فِي كِتَابِ "مُخْتَصَرِ جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ" أَنَّ الْإِمَامَ مَالِكًا كَانَ يَقُولُ "الْكَلَامُ فِي الدِّينِ أَكْرَهُهُ, وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ بَلَدِنَا –يَقْصِدُ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ– يَكْرَهُونَهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ, نَحْوَ الْكَلَامِ فِي رَأْيِ جَهْمٍ وَالْقَدَرِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ, وَلَا أُحِبُّ الْكَلَامَ إِلَّا فِيمَا تَحْتَهُ عَمَلٌ" [3] . .

أَمَّا صَاحِبُ مَدْرَسَةِ الرَّأْيِ, الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ– فَإِنَّهُ يَقُولُ "لَعَنَ اللَّهُ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ فَإِنَّهُ فَتَحَ لِلنَّاسِ الطَّرِيقَ إِلَى الْكَلَامِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِمْ مِنَ الْكَلَامِ" .

وَيَذْكُرُ الْهَرَوِيُّ عَنْ أَبِي الْمُظَفَّرِ السَّمْعَانِيِّ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي حَنِيفَةَ مَا تَقُولُ فِيمَا أَحْدَثَ النَّاسُ مِنَ الْكَلَامِ فِي الْأَعْرَاضِ وَالْأَجْسَامِ .

فَقَالَ مَقَالَاتُ الْفَلَاسِفَةِ .

قُلْتُ نَعَمْ .

---

١ –حقق هذا الكتاب ونشره الدكتور محمد يوسف موسى، والدكتور علي عبد المنعم .

٢ – "تمهيد لتاريخ الفلسفة" للشيخ مصطفى عبد الرزاق ط. ثالثة ١٩٩٦، ص ١٥٥.

٣ " –مختصر جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ."

قَالَ عَلَيْكَ بِالْأَثَرِ وَطَرِيقَةِ السَّلَفِ, وَإِيَّاكَ وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ; فَإِنَّهَا بِدْعَةٌ" [1] .

فَإِذَا تَرَكْنَا أَقْوَالَ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ, وَاتَّجَهْنَا إِلَى الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ ﷺ الَّذِي يَقُولُ عَنْهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَفْقَهَ مِنْ هَذَا الْفَتَى" .

وَيَسْأَلُهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ "أَيُّ رَجُلٍ كَانَ الشَّافِعِيُّ فَإِنِّي سَمِعْتُكَ تُكْثِرُ الدُّعَاءَ لَهُ, فَقَالَ لَهُ يَا بُنَيَّ, كَانَ الشَّافِعِيُّ كَالشَّمْسِ لِلنَّهَارِ, وَكَالْعَافِيَةِ لِلنَّاسِ, فَانْظُرْ هَلْ لِهَذَيْنِ خَلْفٌ وَعَنْهُمَا مِنْ عِوَضٍ؟ [2] .

الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ هَذَا يَقُولُ عَنْ عِلْمِ الْكَلَامِ وَعَنْ أَصْحَابِهِ "حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ, وَيُحْمَلُوا عَلَى الْإِبِلِ, وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْعَشَائِرِ وَالْقَبَائِلِ وَيُنَادَى عَلَيْهِمْ هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ" .

وَفِي رِوَايَةٍ لِيُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ "إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ الِاسْمُ غَيْرُ الْمُسَمَّى, وَالشَّيْءُ غَيْرُ الْمَشِيءِ, فَاشْهَدْ عَلَيْهِ بِالزَّنْدَقَةِ" [3] . .

فَإِذَا انْتَقَلْنَا إِلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ ﷺ نَجِدُ إِنْسَانًا جَدِيدًا مِنْ مَدْرَسَةِ الْقُرْآنِ, أَنْفَقَ عُمُرَهُ فِي جَمْعِ حَدِيثِ الرَّسُولِ ﷺ وَتَدْوِينِهِ, وَتَحَمَّلَ الْكَثِيرَ مِنْ قَسَاوَةِ السَّجْنِ وَالتَّعْذِيبِ, لِيُبْطِلَ مَا يَقُولُهُ الْمُبْطِلُونَ مِنْ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ وَغَيْرِهِمْ عَنْ الْقُرْآنِ, وَصِفَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

يَقُولُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ لِأَحَدِ طُلَّابِهِ عِنْدَمَا سَأَلَهُ رَأْيَهُ فِي هَؤُلَاءِ أَصْحَابِ الْكَلَامِ "لَا تُجَالِسْهُمْ, وَلَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ" .

وَقَالَ لَهُ إِنِّي رُبَّمَا رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ" .

قَالَ "اتَّقِ اللَّهَ, وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تُنَصِّبَ نَفْسَكَ وَتَشْتَهِرَ بِالْكَلَامِ, لَوْ كَانَ فِي هَذَا خَيْرٌ لَتَقَدَّمَنَا فِيهِ الصَّحَابَةُ, هَذِهِ كُلُّهَا بِدْعَةٌ" .

---

١ – "صَوْن المَنْطِق والكلام" للسيوطي ص ٣٢.

٢ " -مفتاح السعادة": نطاش كبرى زاده جـ ٢، ص ٩٠ .

٣ – "تلبيس إبليس" لابن الجوزي، و"صون المنطق والكلام" للسيوطي.

قَالَ الطَّالِبُ إِنِّي لَسْتُ أَطْلُبُهُمْ, وَلَا أَدُقُّ أَبْوَابَهُمْ, وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِالْكَلَامِ, وَلَا أَحَدَ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ, وَلَا أَصْبِرُ حَتَّى يُرَدَّ عَلَيْهِمْ .

قَالَ أَحْمَدُ "إِنْ جَاءَكَ مُسْتَرْشِدٌ فَأَرْشِدْهُ وَكَرَّرَهَا مِرَارًا" [1] .

رَحِمَكَ اللَّهُ يَا إِمَامَ السُّنَّةِ, وَمَا أَحْوَجَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْآنَ أَنْ تَسِيرَ كَمَا سِرْتَ, وَأَنْ تَنْهَجَ كَمَا نَهَجْتَ بِاتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .

فَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَتَعَرَّفَ عَلَى رَأْيِ أَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ –رَحِمَهُ اللَّهُ– وَالَّذِي هُوَ عِنْدَ "الطُّرْطُوشِيِّ" رَجُلٌ مُظْلِمُ الْجَهَالَةِ, وَمِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ, وَكَادَ يَنْسَلِخُ مِنَ الدِّينِ .

بَيْنَمَا هُوَ عِنْدَ الْبَعْضِ الْآخَرِ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ, وَكَادَ الْإِجْمَاعُ يَنْعَقِدُ عَلَى غَزَارَةِ عِلْمِهِ وَفَضْلِهِ .

وَالَّذِي يُهِمُّنَا فِي رَأْيِ الْغَزَالِيِّ أَنَّهُ صَاحِبُ قَلَمٍ جَالَ فِي كُلِّ مَيْدَانٍ, وَهَاجَمَ فِي كُلِّ مَوْقِعٍ, وَنَازَلَ الْفَلَاسِفَةَ وَكَشَفَ زَيْفَهُمْ, وَهَاجَمَ الْبَاطِنِيَّةَ وَفَنَّدَ بَاطِلَهُمْ, وَاقْتَرَبَ مِنْ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ, وَلَكِنَّهُ رَفَضَ مَنْهَجَهُمْ يَقُولُ الْغَزَالِيُّ –رَحِمَهُ اللَّهُ– فِي كِتَابِهِ "فَيْصَلِ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالزَّنْدَقَةِ" "مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ غُلُوًّا وَإِسْرَافًا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ, كَفَّرُوا عَوَامَّ الْمُسْلِمِينَ, وَزَعَمُوا أَنَّ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْكَلَامَ مَعْرِفَتَهُمْ, وَلَمْ يَعْرِفْ الْعَقَائِدَ الشَّرْعِيَّةَ بِأَدِلَّتِهِمْ الَّتِي حَرَّرُوهَا فَهُوَ كَافِرٌ.

١ " -أحمد بن حنبل إمام أهل السنة": للأستاذ عبد الحليم الجندي ص ٤٤٤، ط. المجلس الأعلى القاهرة .

مَوْقِفُ السَّلَفِ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ

فَهَؤُلَاءِ ضَيَّقُوا رَحْمَةَ اللَّهِ الْوَاسِعَةَ عَلَى عِبَادِهِ أَوَّلاً, وَجَعَلُوا الْجَنَّةَ وَقْفًا عَلَى شِرْذِمَةٍ يَسِيرَةٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ, ثُمَّ جَهِلُوا مَا تَوَاتَرَ مِنْ السُّنَّةِ .

ثَانِيًا إِذْ ظَهَرَ لَهُمْ فِي عَصْرِ الرَّسُولِ ﷺ وَعَصْرِ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- حُكْمُهُمْ بِإِسْلَامِ طَوَائِفَ مِنْ أَجْلَافِ الْعَرَبِ كَانُوا مَشْغُولِينَ بِعِبَادَةِ الْوَثَنِ, وَلَمْ يَشْتَغِلُوا بِعِلْمِ الدَّلِيلِ, وَلَوِ اشْتَغَلُوا بِهِ لَمْ يَفْهَمُوهُ .

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ مَدْرَكَ الْإِيمَانِ "الْكَلَامُ " وَالْأَدِلَّةُ الْمُحَرَّرَةُ وَالتَّقْسِيمَاتُ الْمُرَتَّبَةُ فَقَدْ ضَيَّقَ حَدَّ الْإِيمَانِ .

"بَلْ الْإِيمَانُ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي قُلُوبِ عَبِيدِهِ" [1] .

وَلَمْ يَكْتَفِ أَبُو حَامِدٍ بِهَذَا الْكَلَامِ بَلْ يُقَدِّمُ الدَّلِيلَ عَلَى صِدْقِ مَا يَقُولُ, وَيَتَّجِهُ إِلَى صَدْرِ الْإِسْلَامِ, حَيْثُ الرَّسُولُ ﷺ وَمَجَالِسُ الصَّحَابَةِ, فَيَقُولُ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ جَاحِدًا بِهِ مُنْكِرًا, فَمَا وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ إِلَّا وَرَآهُ يَتَلَأْلَأُ بِأَنْوَارِ النُّبُوَّةِ, قَالَ وَاللَّهِ مَا هَذَا بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَسَأَلَهُ أَنْ يَعْرِضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ .

وَجَاءَ آخَرُ إِلَيْهِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَقَالَ ﴿ أَنْشُدُكَ اللَّهَ, آللَّهُ بَعَثَكَ نَبِيًّا فَقَالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أَيْ وَاللَّهِ, اللَّهُ بَعَثَنِي نَبِيًّا فَصَدَّقَهُ بِيَمِينِهِ وَأَسْلَمَ ﴾ .

وَهَذِهِ وَأَمْثَالُهَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى, وَلَمْ يَشْتَغِلْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِالْكَلَامِ وَتَعَلُّمِ الْأَدِلَّةِ بَلْ كَانَ يَبْدُو نُورُ الْإِيمَانِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فِي قُلُوبِهِمْ لُمْعَةً بَيْضَاءَ, ثُمَّ لَا تَزَالُ تَزْدَادُ إِشْرَاقًا بِمُشَاهَدَةِ تِلْكَ الْأَجْوِبَةِ السَّدِيدَةِ, وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ, وَتَصْفِيَةِ الْقُلُوبِ .

يَقُولُ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ "فَلَيْتَ شِعْرِي مَتَى نُقِلَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ, أَوْ عَنْ الصَّحَابَةِ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- أَنْ قَالُوا لِمَنْ جَاءَهُمْ مُسْلِمًا" .

الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْعَالَمَ حَادِثٌ, أَنَّهُ لَا يَخْلُو عَنْ الْأَعْرَاضِ, وَمَا لَا يَخْلُو عَنْ الْحَوَادِثِ حَادِثٌ" [1] .

---

١ - "فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة" لأبي حامد الغزالي. تحقيق الدكتور سليمان دنيا، ص ٨٩.

إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَحْدُثْ قَطُّ, وَلَمْ يَتَوَاتَرْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ, إِنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَلَا تَنَاوَلَهُ الصَّحَابَةُ مِنْ بَعْدِهِ, حَتَّى قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ ﷺ نَاهِيًا عَنْ ذَلِكَ "لَأَنْ يُبْتَلَى الْعَبْدُ بِكُلِّ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ – مَا عَدَا الشِّرْكَ– خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ" [٢] .

وَعُلَمَاءُ الْكَلَامِ لَمْ يُتْرَكُوا لِإِشَاعَةِ أَقْوَالِهِمْ وَبَثِّ أَفْكَارِهِمْ فِي الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ, بَلْ وَقَفَ لَهُمْ عُلَمَاءُ السُّنَّةِ بِالْمِرْصَادِ, يُفَنِّدُونَ حُجَجَهُمْ, وَيُبْطِلُونَ أَدِلَّتَهُمْ, وَيُؤَلِّفُونَ الْكُتُبَ, وَيُدَبِّجُونَ الْمَقَالَاتِ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ .

وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْإِمَامُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٦٣ – ١٠٧١م فِي كِتَابِهِ "جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ, وَمَا يَنْبَغِي فِي رِوَايَتِهِ وَحَمْلِهِ" .

وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ عَبْدُ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ الْهَرَوِيُّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٨١هـ – ١٠٨٨م فِي كِتَابِهِ "ذَمِّ الْكَلَامِ" .

وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْجَوْزِيِّ الْقُرَشِيُّ الْبَغْدَادِيُّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٩٦هـ فِي كِتَابِهِ "نَقْدِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ" أَوْ تَلْبِيسِ إِبْلِيسَ" [٣] .

وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ مُوَفَّقُ الدِّينِ بْنُ قُدَامَةَ الْمَقْدِسِيُّ, الْمُتَوَفَّى بِدِمَشْقَ سَنَةَ ٦٢٠هـ ١٢٢٣م فِي كِتَابِهِ "تَحْرِيمِ النَّظَرِ فِي كُتُبِ أَهْلِ الْكَلَامِ", وَرَدَّ فِي هَذَا الْكِتَابِ عَلَى ابْنِ عَقِيلٍ الَّذِي أَبَاحَ عِلْمَ الْكَلَامِ .

وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ, الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٥٠٥م، فِي كِتَابِهِ "صَوْنِ الْمَنْطِقِ وَالْكَلَامِ عَنْ فَنِّ الْمَنْطِقِ وَالْكَلَامِ" [٤] .

وَقَدْ قَامَ جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ بِتَلْخِيصِ كِتَابِ الْإِمَامِ الْهَرَوِيِّ "جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ وَمَا يَنْبَغِي فِي رِوَايَتِهِ وَحَمْلِهِ" فِي كِتَابِهِ سَالِفِ الذِّكْرِ "صَوْنِ الْمَنْطِقِ وَالْكَلَامِ" .

---

١ " -فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة"، ص ٨٩ .

٢ – "تلبيس إبليس" لابن الجوزي، ص ٨٩.

٣ -طبع كتاب ابن الجوزي "تلبس إبليس" طبعات متعددة آخرها عام ١٣٩٦هـ، حيث عني بنشره وتخريج أحاديثه: الأستاذ محمود مهدي استانبولي .

٤ – قام بتحقيق الكتاب الدكتور: علي سامي النشار، وأخرجه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر في طبعة صحيحة مُنَقَّحَة.

إِنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ الَّذِي وَفَدَ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ خَارِجِ حُدُودِهَا فَرَّقَ وَحْدَتَهَا, وَشَغَلَهَا عَنْ الْكَثِيرِ مِنْ أَدَاءِ رِسَالَتِهَا تِجَاهَ الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا .

يَقُولُ أَحَدُ الْمُفَكِّرِينَ الْإِسْلَامِيِّينَ مُوَضِّحًا وَمُعَلِّقًا عَلَى الْخِلَافَاتِ النَّاشِبَةِ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ "كَانَتْ الْمُنَاقَشَاتُ -فِي الْأَصْلِ- مِمَّا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَجَاوَزَ حُدُودَ الْمُنَاظَرَاتِ الْمَنْطِقِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ وَالْفَنِّيَّةِ, وَلَكِنَّا أَقْحَمْنَا اسْمَ اللَّهِ ﷻ فِي مُنَاقَشَاتِنَا الَّتِي لَا مَعْنَى لَهَا .

فَحَاوَلَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنَّا إِسْنَادَ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ إِلَى الْفَرِيقِ الْآخَرِ" [1] .

وَنَقُولُ وَكَيْفَ لَا يَتِمُّ ذَلِكَ .

وَالنِّظَامُ الْمُعْتَزِلِيُّ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ الشَّرِّ, وَإِنَّ إِبْلِيسَ يَقْدِرُ عَلَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ .

وَقَالَ هِشَامٌ الْقُوطِيُّ إِنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ عَالِمٌ لَمْ يَزَلْ .

وَقَالَ بَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الْكَذِبُ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ .

وَقَالَتْ الْمُجْبِرَةُ لَا قُدْرَةَ لِلْآدَمِيِّ, بَلْ هُوَ كَالْجَمَادِ, مَسْلُوبُ الِاخْتِيَارِ وَالْفِعْلِ .

وَقَالَتْ الْمُرْجِئَةُ إِنَّ مَنْ أَقَرَّ بِالشَّهَادَتَيْنِ, وَأَتَى بِكُلِّ الْمَعَاصِي, لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ أَصْلًا [2] .

وَنَقُولُ لِهَؤُلَاءِ جَمِيعًا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥ ﴾ [3] .

يَقُولُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ الْغَزَالِيُّ "وَعَفَا اللَّهُ عَنْ أَجْدَادِنَا; فَقَدْ أُولِعُوا بِذَلِكَ, وَأَعَانَهُمْ عَلَيْهِ أَنَّ الدَّوْلَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ كَانَتْ سَيِّدَةَ الْعَالَمِ, فَلَا بَأْسَ عَلَى رِجَالِهَا أَنْ يَشْتَغِلُوا بِالتَّرَفِ الْعَقْلِيِّ, وَأَنْ يُحَوِّلُوا فَرَاغَهُمْ مِنَ

---

١ " -عقيدة المسلم" للشيخ محمد الغزالي .

٢ - "نقد العلم والعلماء" لابن الجوزي، ص ٨١.

٣ -سورة الكهف آية : ٥ .

الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَى جِهَادٍ فِي هَذَا الْمَيْدَانِ الْخَطِرِ, فَانْشَغَلُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ أَعْدَائِهِمْ, ثُمَّ ذَهَبَ الرِّجَالُ وَبَقِيَ الْجِدَالُ بَقِيَ إِلَى الْيَوْمِ يُهَدِّدُ وَحْدَةَ الْأُمَّةِ وَيَهُزُّ كِيَانَهَا" [1] . .

وَنَصِلُ بِذَلِكَ إِلَى السُّؤَالِ الثَّالِثِ هَلْ الْمُسْلِمُونَ الْآنَ بِحَاجَةٍ إِلَى عِلْمِ الْكَلَامِ؟ وَهَلْ يُعْطِينَا دَرْسُ نَشْأَتِهِ عِبْرَةَ اسْتِمْرَارِهِ؟ .

وَإِذَا كَانَ الْجَوَابُ بِالنَّفْيِ, وَهُوَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ الْآنَ لَيْسُوا فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ فَكَيْفَ نَرُدُّ طُغْيَانَ جَهْمِيَّةِ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ لَقَدْ كَانَتْ الْجَهْمِيَّةُ الْأُولَى تَقُولُ إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ .

أَمَّا الْجَهْمِيَّةُ الْحَدِيثَةُ –الْمُتَمَثِّلَةُ فِي الِاسْتِشْرَاقِ وَأَتْبَاعِهِ, وَالتَّبْشِيرِ وَأَذْنَابِهِ– فَإِنَّهَا تَقُولُ بِبَشَرِيَّةِ الْقُرْآنِ, أَيْ أَنَّ الْقُرْآنَ مَصْنُوعٌ وَمُؤَلَّفٌ, قَامَ بِتَأْلِيفِهِ مُحَمَّدٌ, وَهُوَ مِرْآةٌ لِأُفُقٍ خَاصٍّ مِنَ الْحَيَاةِ, هُوَ أُفُقُ الْحَيَاةِ فِي شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ, وَفِي مَكَّةَ بِوَجْهٍ خَاصٍّ [2] .

كَيْفَ نُحَاجِجُ الْمَذَاهِبَ الْحَدِيثَةَ الْهَدَّامَةَ وَمَا وَسِيلَتُنَا فِي الرَّدِّ عَلَى الْمَذْهَبِ "الِاسْمِيِّ" الَّذِي يُقَرِّرُ أَتْبَاعُهُ –قَاتَلَهُمُ اللَّهُ– أَنَّ لَفْظَ اللَّهِ لَا يُوجَدُ لَهُ مُسَمًّى .

وَكَيْفَ نُحَاجِجُ أَصْحَابَ الْمَذْهَبِ "التَّجْرِيبِيِّ", وَالَّذِي يُعَبِّرُ عَنْ أَحَدِ أُصُولِهِ "لودفيج فيرباخ" – فَيْلَسُوفٌ أَلْمَانِيٌّ– بِقَوْلِهِ اللَّهُ كَانَ فِكْرَتِي الْأُولَى, وَالْعَقْلُ كَانَ فِكْرَتِي الثَّانِيَةِ, وَالْإِنْسَانُ –بِمُحِيطِهِ الْوَاقِعِيِّ– هُوَ فِكْرَتِي الثَّالِثَةُ وَالْأَخِيرَةُ .

كَيْفَ نَحُولُ بَيْنَ مُجْتَمَعِنَا وَبَيْنَ الِاسْتِمَاعِ إِلَى هَذِهِ الْمَذَاهِبِ الَّتِي تَتَسَرَّبُ إِلَيْهِ عَنْ طَرِيقِ التِّلْفَازِ تَارَةً, وَالْمِذْيَاعِ تَارَةً أُخْرَى .

إِنَّ أَتْبَاعَ الْمَذْهَبِ الْعَقْلِيِّ يُسَمُّونَ هَذَا الْعَصْرَ عَصْرَ التَّنْوِيرِ, أَوْ عَصْرَ الْإِنْسَانِ, وَيُفَسِّرُ "وولف" الْأَلْمَانِيُّ التَّنْوِيرَ بِقَوْلِهِ إِقْصَاءُ الدِّينِ عَنْ مَجَالِ التَّوْجِيهِ, وَإِحْلَالُ الْعَقْلِ مَحَلَّهُ .

---

١ – "عقيدة المسلم" للشيخ محمد الغزالي.

٢ " –الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي" د. محمد البهي .

أَمَّا "لوك" الْإِنْجلِيزِيُّ, و "فولتير" الْفَرَنْسِيُّ فَإِنَّهُمَا يُفَسِّرَانِ عَصْرَ الْإِنْسَانِ بِقَوْلِهِمَا عَصْرُ الْإِلَهِ الْجَدِيدِ – الْعَقْلُ الَّذِي اسْتَغْنَى عَنْ آلِهَةِ الْخُرَافَةِ وَالْكَنِيسَةِ .

لَقَدْ كَانَتْ الْبَاطِنِيَّةُ الْقَدِيمَةُ تَقُولُ إِنَّ اللَّهَ مُنَزَّهٌ عَنْ مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقَاتِ, وَلَوْ كَانَ مَوْجُودًا لَأَشْبَهَ الْمَوْجُودَاتِ, وَلَوْ كَانَ مَعْدُومًا لَأَشْبَهَ الْمَعْدُومَاتِ, فَهُوَ لَا مَوْجُودٌ وَلَا مَعْدُومٌ .

أَمَّا الْبَاطِنِيَّةُ الْحَدِيثَةُ الْمُتَمَثِّلَةُ فِي عَدَمِيَّةِ سيرجي نيكاييف, وَإِلْحَادِيَّةِ مَارْكس وَتَخْرِيبِيَّةِ فرويد, وَأَحْفَادِ الْيَهُودِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ الَّتِي يُمَثِّلُهَا دَارْوِن, فَإِنَّهَا تَقُولُ الدِّينُ خُرَافَةٌ, وَالرُّسُلُ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْأَفَّاكِينَ, وَاللَّهُ أُسْطُورَةُ الرَّجْعِيِّينَ, فَقَدْ ذَهَبْنَا لِنُفَتِّشَ عَنْهُ فَلَمْ نَعْثُرْ لَهُ عَلَى أَثَرٍ .

وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ إِذْ يَقُولُ: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥ ﴾[1] .

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٤ ﴾[2] .

وَالْآنَ يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَتَسَاءَلَ مَا هِيَ الْأَسْلِحَةُ الْفِكْرِيَّةُ الَّتِي أَعَدَّتْهَا مَدْرَسَةُ الْقُرْآنِ لِلدُّخُولِ بِهَا فِي مَعَارِكِ الْإِلْحَادِ الْجَدِيدَةِ السَّافِرَةِ .

إِنَّ الْإِلْحَادَ الْمُتَنَمِّرَ يُحَاجِجُ شَبَابَنَا بِسِلَاحٍ لَمْ يَعْرِفُوهُ, وَبِأُسْلُوبٍ لَمْ يَعْهَدُوهُ .

إِنَّ أَبْنَاءَنَا لَا يَعْرِفُونَ شَيْئًا عَنْ الْجُزْءِ الَّذِي لَا يَتَجَزَّأُ, وَلَا عَنْ الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ, وَلَا عَنْ الْعَدَمِ وَالْوُجُودِ عِنْدَ سَارْتَر وَوُجُودِيَّتِهِ, وَلَمْ يَتَدَرَّبُوا عَلَى خِدَاعِ الْمَقَايِيسِ الْعَصْرِيَّةِ, مَقَايِيسِ الشَّيْطَانِ, الَّتِي تُخَرِّبُ وَلَا تُعَمِّرُ, وَتُفْسِدُ وَلَا تُصْلِحُ, وَتُشَكِّكُ وَلَا تُيَقِّنُ .

ثُمَّ مَا رَأْيُ عُلَمَاءِ الْعَقِيدَةِ؟ .

وَمَا وِجْهَةُ نَظَرِ فُقَهَاءِ الشَّرِيعَةِ؟ .

---

١ – سورة الكهف آية : ٥.

٢ –سورة الفرقان آية : ٤٤ .

وَمَاذَا يَقُولُ جَهَابِذَةُ الْأُصُولِ؟ .

إِنَّ الْأَمْرَ جِدُّ لَا يَحْتَمِلُ التَّعْطِيلَ أَوِ التَّعْلِيلَ.

نَشْأَةُ الْجَهْمِيَّةِ وَحَقِيقَتُهَا

نَشْأَةُ الْجَهْمِيَّةِ

مَتَى نَشَأَتِ الْجَهْمِيَّةُ وَفِي أَيِّ الْبِقَاعِ كَانَ انْتِشَارُهَا؟ .

أُنْشِئَتْ مَعَ جَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ أَمْ أَنَّ لَهَا جُذُورًا قَبْلَ ذَلِكَ؟ .

وَإِذَا كَانَ, فَمَنَ الدُّعَاةُ الَّذِينَ سَبَقُوا جَهْمًا إِلَى الْمُنَادَاةِ بِآرَائِهَا؟ تِلْكَ الْآرَاءُ الَّتِي يَصِفُهَا الْبَعْضُ بِالْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ .

وَيَرَى الْفَرِيقُ الْآخَرُ بِأَنَّهَا زَنْدَقَةٌ, وَمُرُوقٌ عَنْ الدِّينِ .

إِنَّ الْإِمَامَ مُسْلِمًا ﷺ يَرْوِي فِي صَحِيحِهِ حَدِيثًا يُحَدِّدُ فِيهِ أَوَّلَ الْمُنَادِينَ بِتِلْكَ الْآرَاءِ الَّتِي بَنَى عَلَيْهَا جَهْمٌ آرَاءَهُ فِيمَا بَعْدُ, فَيَقُولُ "حَدَّثَنِي أَبُو خَيْثَمَةَ زَهْرُ بْنُ حَرْبٍ, عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمُرَ, قَالَ "كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ بِالْقَدَرِ فِي الْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ, فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ, حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ, فَقُلْنَا لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ .

فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ, فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي, أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ, فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ, فَقُلْتُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ, إِنَّهُ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ, وَيَتَفَقَّهُونَ الْعِلْمَ, وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ, وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَلَّا قَدَرَ, وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ .

قَالَ "فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ بِأَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ, وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي, وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ, لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ, مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ" [1] .

١ - "صحيح الإمام مسلم بشرح النووي" جـ ١، ص ١٥٠ - ١٥٦ المطبعة المصرية بالأزهر.

إِذَنْ, مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ [1] -فِي رَأْيِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ - أَوَّلُ مَنْ نَادَى بِهَذِهِ الْآرَاءِ فِي الْعَقِيدَةِ, وَكَانَ لَهُ رَأْيٌ فِي السِّيَاسَةِ وَشُئُونِ الْحُكْمِ, وَثَارَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ, فَقَتَلَهُ الْحَجَّاجُ صَبْرًا سَنَةَ ٨٠هـ.

قُتِلَ مَعْبَدٌ, وَلَكِنَّ آرَاءَهُ بَقِيَتْ تَتَرَدَّدُ فِي مُحِيطِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ, بَيْنَ الرَّافِضِينَ لَهَا وَالْمُؤَيِّدِينَ لَهَا, الَّذِينَ يُسِرُّونَ بِهَا تَارَةً, وَيُعْلِنُونَ بِهَا مَرَّةً أُخْرَى, وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ, وَغَيْلَانُ الدِّمَشْقِيُّ .

وَيَخْتَلِفُ الْمُؤَرِّخُونَ فِي "غَيْلَانَ" [2] هَذَا, فَابْنُ نُبَاتَةَ فِي كِتَابِهِ "سَرْحِ الْعُيُونِ", يَرَى أَنَّ غَيْلَانَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقَدَرِ, بَيْنَمَا نَرَى الْمَقْرِيزِيَّ فِي خُطَطِهِ يَقُولُ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقَدَرِ مَعْبَدُ بْنُ خَالِدٍ الْجُهَنِيُّ وَيُؤَيِّدُهُ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ .

وَهُنَاكَ فَرِيقٌ ثَالِثٌ يَقُولُ إِنَّ أَصْلَ الْقَوْلِ بِالْقَدَرِ إِنَّمَا هُوَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ, كَانَ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ ثُمَّ تَنَصَّرَ .

وَيُؤَيِّدُ هَذَا الرَّأْيَ مَا يُرْوَى عَنْ الْإِمَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ فِي كِتَابِهِ "الْفَتْوَى الْحَمَوِيَّةِ" "مِنْ أَنَّ أَسَانِيدَ جَهْمٍ تَرْجِعُ إِلَى الْيَهُودِ وَالصَّابِئِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْفَلَاسِفَةِ الضَّالِّينَ" [3] .

وَيَرَى أَحَدُ الْبَاحِثِينَ الْمُحْدَثِينَ أَنَّ مَا نَادَتْ بِهِ الْجَهْمِيَّةُ مِنْ إِثْبَاتِ الْقَدَرِ, وَمَا قَالَتْهُ الْمُعْتَزِلَةُ مِنْ نَفْيِ الْقَدَرِ يَرْجِعُ إِلَى أُصُولٍ قَدِيمَةٍ عَمِيقَةٍ فِي الْقِدَمِ, فَيَقُولُ وَهَذَانِ الْمَذْهَبَانِ فِي نَفْيِ الْقَدَرِ وَإِثْبَاتِهِ, يَسْبِقُهُمَا مَذْهَبَانِ مُمَاثِلَانِ لِلْيُونَانِ, هُمَا مَذْهَبُ الْأَبِيقُورِيِّينَ الْقَائِلِينَ بِحُرِّيَّةِ الْإِرَادَةِ, وَمَذْهَبُ الرِّوَاقِيِّينَ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ مُسَيَّرٌ لَا مُخَيَّرٌ .

---

١ -معبد بن عبد الله الجهني كان أول من تكلم في القدر، ونهى الحسن البصري الناس عن مجالسته، صلبه عبد الملك في القدر، وقيل: بل عذَّبه الحجاج بأنواع العذاب، وقتله سنة ثمانين. "شذرات الذهب" جـ ١، ص ١٨، و"الميزان" جـ ٣، ص ١٨٣ .

٢ – غيلان ذكر في "التبصرة" أنه غيلان بن مسلم، وفي "تهذيب التهذيب" أنه غيلان بن أبي غيلان المقتول في القدر، ضال مسكين، كان من بلغاء الكتاب، ومن أصحاب الحرث الكذاب، وممن آمن بنبوته، فلما قتل الحرث قام غيلان مقامه، وقد أخذ عن معبد الجهني بدعة القدر، وقد ناظره الأوزاعي وأفتى بقتله. "لسان الميزان"، جـ ٤، ص ٤٢٤.

٣ " -نفائس الإمام أحمد ابن تيمية": "الفتوى الحموية الكبرى" ص١٠٠ .

وَعَلَى غِرَارِ هَذَيْنِ الْمَذْهَبَيْنِ مَذْهَبَانِ مُمَاثِلَانِ لِلْيَهُودِ, فَمِنْهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ يَنْفُونَ الْقَدَرَ, وَالْقَرَّاءُونَ يَقُولُونَ بِالْجَبْرِ .

ثُمَّ مَذْهَبَانِ تَالِيَانِ مَسِيحِيَّانِ فَالْمَسِيحِيُّونَ الشَّرْقِيُّونَ يَقُولُونَ إِنَّ الْإِنْسَانَ مُخَيَّرٌ, وَالْآخَرُونَ يَقُولُونَ بِالْجَبْرِ وَكَانَ يَحْيَى الدِّمَشْقِيُّ يَقُولُ بِالتَّخْيِيرِ, وَهُوَ طَبِيبٌ نَصْرَانِيٌّ لِبَنِي مَرْوَانَ" [1] .

وَيُمْكِنُ التَّوْفِيقُ بَيْنَ هَذِهِ الْآرَاءِ جَمِيعًا بِأَنَّ هَذِهِ الْفِكْرَةَ نَادَى بِهَا الْفَلَاسِفَةُ الْيُونَانُ, وَتَرَدَّدَتْ بَيْنَ الْمَدْرَسَةِ الْأَبِيقُورِيَّةِ وَالْمَدْرَسَةِ الرِّوَاقِيَّةِ, ثُمَّ انْتَقَلَتْ إِلَى مَدْرَسَةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ, حَيْثُ تَقَبَّلَتْهَا الْيَهُودِيَّةُ وَالْمَسِيحِيَّةُ بِقَبُولٍ حَسَنٍ .

وَأَنَّ أَبَا يُونُسَ هَذَا –الَّذِي ادَّعَى الْإِسْلَامَ ثُمَّ أَعْلَنَ ارْتِدَادَهُ– أَحَدُ هَؤُلَاءِ الْأَفْرَادِ مِنْ مَدْرَسَةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ الَّتِي نَادَتْ بِهَذِهِ الْآرَاءِ, فَتَلَقَّفَهَا مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ وَغَيْلَانُ الدِّمَشْقِيُّ, حَتَّى مَاتَ "مَعْبَدٌ", فَانْفَرَدَ بِهَا "غَيْلَانُ" .

يَقُولُ ابْنُ نُبَاتَةَ لَمَّا بَلَغَ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ مَقَالَةُ غَيْلَانَ فِي الْقَدَرِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ "يَا غَيْلَانُ, مَا هَذِهِ الْمَقَالَةُ الَّتِي بَلَغَتْنِي عَنْكَ فِي الْقَدَرِ .

فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ, هُوَ مَا بَلَغَكَ, فَأَحْضِرْ مَنْ أَحْبَبْتَ يُحَاجُّنِي, فَإِنْ غَلَبَنِي ضَرَبْتَ عُنُقِي فَأَحْضَرَ لَهُ الْإِمَامَ الْأَوْزَاعِيَّ, فَحَاجَجَهُ فَانْتَصَرَ عَلَيْهِ, فَأَمَرَ بِهِ هِشَامٌ فَقُطِعَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ فَمَاتَ" [2] .

آرَاءُ غَيْلَانَ الدِّمَشْقِيِّ :

يُمْكِنُ تَلْخِيصُ آرَائِهِ فِي الْآتِي: [3]

(١) الْعَبْدُ قَادِرٌ عَلَى أَفْعَالِ نَفْسِهِ .

(٢) الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ وَقَوْلٌ, وَأَنَّ الْعَمَلَ لَيْسَ دَاخِلًا فِيهِ .

---

١ " -أحمد بن حنبل" للأستاذ عبد الحليم الجندي ص ٤٠٥ .

٢ " -تاريخ الجهمية والزنادقة" للشيخ جمال الدين القاسمي .

٣ -يقال في المناظرة التي جرت بينه وبين الأوزاعي: قال الأوزاعي: يا غيلان، إن شئت ألقيت سبعًا، وإن شئت خمسًا، وإن شئت ثلاثًا؟ فقال غيلان: ألق ثلاثًا. فقال له الأوزاعي: أقضى الله على عبد ما نهى عنه؟ قال غيلان: ما أدري ما تقول. قال الأوزاعي: فأمر الله بأمر حال دونه؟ قال غيلان: هذه أشد من الأولى. قال الأوزاعي: فحرم الله حرامًا ثم أحله؟ قال غيلان ما أدري ما تقول!. فضربت عنقه .

(٣) الْقَوْلُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ .

(٤) نَفْيُ الصِّفَاتِ الثُّبُوتِيَّةِ, وَهُوَ بِذَلِكَ يُوَافِقُ الْمُعْتَزِلَةَ فِي قَوْلِهِمْ .

(٥) الْإِمَامَةُ تَصْلُحُ لِغَيْرِ الْقُرَشِيِّ, وَأَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ قَائِمًا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا لِلْمُسْلِمِينَ, لَكِنْ بِشَرْطِ إِجْمَاعِهِمْ عَلَى إِمَامَتِهِ وَهُوَ -فِي هَذَا الرَّأْيِ- يَذْهَبُ إِلَى مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ الْخَوَارِجُ .

الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ [١] .

كَانَ مَوْلًى لِبَنِي الْحَكَمِ, وَكَانَ يَسْكُنُ دِمَشْقَ, فَكَأَنَّهُ لَمْ يَنْشَأْ فِي بِيئَةِ الرِّسَالَةِ, وَإِنَّمَا نَشَأَ فِي بِيئَةٍ أُخْرَى كَانَتْ مَحَلًّا لِجَدَلٍ كَلَامِيٍّ, وَكَانَتْ مَوْطِنًا لِأَهْلِ دِينٍ آخَرَ كَانُوا مَشْغُولِينَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْآرَاءِ, وَهُمُ النَّصَارَى .

وَالْعَجِيبُ فِي أَمْرِ جَعْدٍ هَذَا أَنَّهُ أُوكِلَ إِلَيْهِ تَرْبِيَةُ أَمِيرٍ مِنْ أُمَرَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ أَصْبَحَ بَعْدُ خَلِيفَةَ الْمُسْلِمِينَ, وَهُوَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ – الَّذِي لُقِّنَ هَذِهِ الْمَبَادِئَ الَّتِي كَانَ يُنَادِي بِهَا جَعْدٌ حَتَّى اعْتَقَدَهَا, وَأَصْبَحَ يُلَقَّبُ بِمَرْوَانَ الْجَعْدِيِّ [٢] .

آرَاءُ الْجَعْدِ

(١) الْقَوْلُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ .

(٢) التَّعْطِيلُ وَيَقُولُ الْإِمَامُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ حَفِظَ عَنْهُ هَذِهِ الْمَقَالَةَ فِي الْإِسْلَامِ .

١ -يقول عنه الذهبي في "ميزان الاعتدال": الجعد بن درهم، عداده في التابعين، مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، و لم يكلّم موسى تكليمًا، فقُتِل بالعراق يوم النحر .

٢ – الشَّهْرِسْتَانِيّ "الملل والنحل".

وَلَمَّا أَظْهَرَ الْجَعْدُ هَذِهِ الْآرَاءَ بِدِمَشْقَ طَرَدَهُ بَنُو أُمَيَّةَ مِنْهَا, وَهَرَبَ إِلَى الْكُوفَةِ, وَلَقِيَهُ هُنَاكَ جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ, فَتَعَلَّمَ مِنْهُ هَذِهِ الْآرَاءَ, وَأَخَذَ جَهْمٌ بِدَوْرِهِ يَنْشُرُهَا وَيُدَافِعُ عَنْهَا .

وَفِي الْكُوفَةِ تَلَقَّى خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ أَمْرًا مِنْ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِقَتْلِ الْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ, وَصَادَفَ ذَلِكَ أَيَّامَ عِيدِ الْأَضْحَى, فَلَمَّا صَلَّى خَالِدٌ الْعِيدَ وَخَطَبَ, قَالَ فِي آخِرِ خُطْبَتِهِ "أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا وَضَحُّوا بِضَحَايَاكُمْ, تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ, فَإِنِّي أُرِيدُ الْيَوْمَ أَنْ أُضَحِّيَ بِـ "الْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ" فَإِنَّهُ يَقُولُ: "مَا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا", "وَلَا اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا" .

تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ عُلُوًّا كَبِيرًا, ثُمَّ نَزَلَ وَحَزَّ رَأْسَهُ بِالسِّكِّينِ بِيَدِهِ [1] .

جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ [2]

أَوَّلُ ظُهُورِ مَذْهَبِهِ كَانَ "بِترْمِذَ", فَإِنَّهُ دَعَا إِلَيْهِ, وَحَاوَرَ فِيهِ وَجَادَلَ, ثُمَّ أَقَامَ بِبَلْخٍ, وَكَانَ يَحْصُلُ بَيْنَهُ هُنَاكَ وَبَيْنَ مُقَاتِلٍ مُنَاقَشَاتٌ وَمُجَادَلَاتٌ, وَكَانَ مُقَاتِلٌ مِنَ الْمُثْبِتِينَ الصِّفَاتِ, وَالْجَهْمُ مِمَّنْ يَقُولُونَ بِضِدِّ هَذَا .

وَبَالَغَ كُلٌّ مِنْهُمْ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ, حَتَّى رُوِيَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ قَالَ "أَفْرَطَ جَهْمٌ فِي نَفْيِ التَّشْبِيهِ حَتَّى قَالَ "إِنَّهُ تَعَالَى لَيْسَ بِشَيْءٍ وَأَفْرَطَ مُقَاتِلٌ فِي مَعْنَى الْإِثْبَاتِ حَتَّى جَعَلَهُ مِثْلَ خَلْقِهِ" .

آرَاءُ جَهْمٍ وَالْجَهْمِيَّةِ: (١) أَوَّلَ آيَاتِ الصِّفَاتِ كُلَّهَا الْوَارِدَةَ فِي الْقُرْآنِ, وَبِذَلِكَ نَفَى أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ – تَعَالَى– صِفَاتٌ غَيْرُ ذَاتِهِ .

(٢) نَفَى رُؤْيَةَ اللَّهِ –تَعَالَى– فِي الْآخِرَةِ .

(٣) نَفَى عَنْهُ صِفَةَ الْكَلَامِ .

(٤) أَرَادَ أَنْ يُثْبِتَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ .

---

١ " -الرد على الجهمية" لأبي سعيد الدارمي، وذكره أيضا ابن الأثير في كتابه "الكامل ."

٢ – جهم بن صفوان أبو محرز السَمَرقَنْدِيّ، الضال المبتدع، رأس الجهمية، قتله نَصْر بن سَيَّار سنة ثمان وعشرين ومائة. "لسان الميزان" جـ ٢، ص ١٤٢.

وَيَرَى بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ جَهْمًا بَنَى مَذْهَبَهُ عَلَى ثَلَاثِ آيَاتٍ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْمُتَشَابِهِ .

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[1] .

١ -سورة الشورى آية : ١١ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [1] .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ [2] .

وَأَنَّهُ تَأَوَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ, وَكَذَّبَ بِأَحَادِيثِ الرَّسُولِ ﷺ وَزَعَمَ أَنَّ مَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِشَيْءٍ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ, أَوْ حَدَّثَ عَنْهُ رَسُولُهُ كَانَ كَافِرًا, وَكَانَ مِنَ الْمُشَبِّهَةِ, وَأَنَّ مَعْنَى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [3] .

"أَيْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ, وَهُوَ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّبْعِ, كَمَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ, لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ, وَلَا يَكُونُ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ, وَلَمْ يُكَلِّمْ وَلَا تَكَلَّمَ وَلَا نَظَرَ إِلَيْهِ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ, وَلَا يُوصَفُ, وَلَا يُعْرَفُ بِصِفَةٍ, وَلَا يَفْعَلُ, وَلَا لَهُ غَايَةٌ وَلَا مُنْتَهًى, وَلَا يُدْرَكُ بِعَقْلٍ, وَهُوَ وَجْهٌ كُلُّهُ, وَهُوَ عِلْمٌ كُلُّهُ, وَهُوَ سَمْعٌ كُلُّهُ, وَهُوَ بَصَرٌ كُلُّهُ, وَهُوَ نُورٌ كُلُّهُ, وَهُوَ قَدَرٌ كُلُّهُ, وَلَا يَكُونُ شَيْئَيْنِ, وَلَا يُوصَفُ بِوَصْفَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ, وَلَيْسَ لَهُ أَسْفَلُ, وَلَا نَوَاحٍ وَلَا جَوَانِبُ, وَلَا يَمِينٌ وَلَا شِمَالٌ, وَلَا هُوَ خَفِيفٌ وَلَا ثَقِيلٌ, وَلَا لَهُ لَوْنٌ وَلَا لَهُ جِسْمٌ, وَلَيْسَ هُوَ بِمَعْمُولٍ وَلَا مَعْقُولٍ, وَكُلُّ مَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِكَ أَنَّهُ شَيْءٌ تَعْرِفُهُ فَهُوَ عَلَى خِلَافِهِ" [4] .

وَأَيْضًا ذَهَبَ جَهْمٌ إِلَى أَنَّ نَعِيمَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَعَذَابَ أَهْلِ النَّارِ يَفْنَيَانِ, قَالَ سُلَيْمَانُ الْبَلْخِيُّ "كَانَ جَهْمٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ, وَكَانَ فَصِيحًا, وَلَمْ يَكُنْ لَهُ نَفَاذٌ فِي الْعِلْمِ, فَلَقِيَهُ قَوْمٌ مِنَ الزَّنَادِقَةِ فَقَالُوا لَهُ صِفْ لَنَا

١ – سورة الأنعام آية : ٣.

٢ -سورة الأنعام آية : ١٠٣ .

٣ – سورة الشورى آية : ١١.

٤ -تاريخ الجهمية "والزنادقة" والمعتزلة للشيخ جمال الدين القاسمي. و"تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين"، على مصطفى الغرابي .

رَبَّكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ فَدَخَلَ الْبَيْتَ لَا يَخْرُجُ مُدَّةً, ثُمَّ خَرَجَ وَقَالَ: "هُوَ هَذَا الْهَوَاءُ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ, وَفِي كُلِّ شَيْءٍ, وَلَا يَخْلُو مِنْهُ شَيْءٌ" [1] .

مَاذَا نَقُولُ لِجَهْمٍ فِي هَذَا الْكَلَامِ وَبِأَيِّ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا كُفْرِهِ نُظْهِرُ زَيْفَهَا لِلْعَيَانِ .

لَقَدْ كَفَانَا الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ ﷺ ذَلِكَ فَقَالَ "كَلَامُ جَهْمٍ صِفَةٌ بِلَا مَعْنًى, وَبِنَاءٌ بِلَا أَسَاسٍ, وَلَمْ يُعَدَّ قَطُّ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ" .

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ لَا نَقُولُ كَمَا قَالَتْ الْجَهْمِيَّةُ إِنَّهُ فِي الْأَرْضِ هَاهُنَا, بَلْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى وَقِيلَ لَهُ كَيْفَ نَعْرِفُ رَبَّنَا .

قَالَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ .

وَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ أَتَظُنُّكَ خَالِيًا مِنْهُ؟ فَبُهِتَ الْآخَرُ وَقَالَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ .

وَإِنَّا لَنَحْكِي كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى, وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ [2] .

وَقَالَ وَكِيعٌ الرَّافِضَةُ شَرٌّ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ, وَالْحَرُورِيَّةُ شَرٌّ مِنْهُمَا, وَالْجَهْمِيَّةُ شَرٌّ هَذِهِ الْأَصْنَافِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾ [3] .

وَيَقُولُونَ "لَمْ يُكَلِّمْ" .

وَيَقُولُونَ "الْإِيمَانُ بِالْقَلْبِ" .

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ نَاظَرَنِي رَجُلٌ بِبَغْدَادَ مُنَافِحًا عَنْ هَؤُلَاءِ الْجَهْمِيَّةِ, فَقَالَ لِي بِأَيَّةِ حُجَّةٍ تُكَفِّرُونَ هَؤُلَاءِ الْجَهْمِيَّةَ, وَقَدْ نُهِيَ عَنْ إِكْفَارِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِكِتَابٍ نَاطِقٍ تُكَفِّرُونَ, أَمْ بِأَثَرٍ أَمْ بِإِجْمَاعٍ؟ .

فَقُلْتُ مَا الْجَهْمِيَّةُ عِنْدَنَا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ, وَمَا نُكَفِّرُهُمْ إِلَّا بِكِتَابٍ مَسْطُورٍ, وَأَثَرٍ مَأْثُورٍ, وَكُفْرٍ مَشْهُورٍ .

---

١ – "الرد على الجهمية" لابن أبي حاتم، عن طريق خلف بن سليمان البلخي، "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" حـ ١٣، ص٢٩٥ المطبعة البهية القاهرة.

٢ -كتاب "أفعال العباد" للإمام البخاري .

٣ – سورة النساء آية : ١٦٤.

أَمَّا الْكِتَابُ فَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ ﷻ عَنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ بِالْقُرْآنِ, فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ مَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ مِنْ التَّكْذِيبِ أَنَّهُمْ قَالُوا "هُوَ مَخْلُوقٌ" كَمَا قَالَتْ الْجَهْمِيَّةُ سَوَاءً .

قَالَ الْوَحِيدُ -وَهُوَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ- ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [1] .

وَهَذَا قَوْلُ جَهْمٍ إِنْ هَذَا إِلَّا مَخْلُوقٌ, وَكَذَلِكَ قَوْلُ مَنْ يَقُولُ بِقَوْلِهِ, وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [2] .

﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [3] .

﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴿٧﴾ ﴾ [4] .

مَعْنَاهُمْ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ, وَمَعْنَى جَهْمٍ فِي قَوْلِهِ يَرْجِعَانِ إِلَى أَنَّهُ مَخْلُوقٌ لَيْسَ بَيْنَهُمَا فِيهِ مِنَ الْبَدَنِ كَغَرْزِ إِبْرَةٍ, وَلَا كَقَيْسِ شَعَرَةٍ .

فَبِهَذَا نُكَفِّرُهُمْ كَمَا أَكْفَرَ اللَّهُ بِهِ أَئِمَّتَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ .

وَأَمَّا الْأَثَرُ فِيهِ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ أُتِيَ بِقَوْمٍ مِنَ الزَّنَادِقَةِ فَحَرَّقَهُمْ, فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- فَقَالَ أَمَّا أَنَا فَلَوْ كُنْتُ لَقَتَلْتُهُمْ; لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿ مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ ﴾ وَلَمَا حَرَقْتُهُمْ; لِنَهْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿ لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ ﴾ فَبَلَغَ عَلِيًّا مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ فَقَالَ وَيْحَ ابْنَ أُمِّ الْفَضْلِ; إِنَّهُ لَغَوَّاصٌ عَلَى الْهَنَاتِ .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَرَأَيْنَا هَؤُلَاءِ الْجَهْمِيَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَظْهَرُوا الْكُفْرَ, وَأَقْبَحُ تَأْوِيلًا لِكِتَابِ اللَّهِ وَرَدِّ صِفَاتِهِ مِنَ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَحَرَّقَهُمْ [5] .

وَقَدْ نَهَضَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ لِمُقَاوَمَةِ هَذِهِ الْحَرَكَةِ, وَنَشَطُوا لِلرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ نَشَاطًا عَظِيمًا .

---

١ -سورة المدثر آية : ٢٥ .

٢ - سورة الفرقان آية : ٤.

٣ -سورة الأنعام آية : ٢٥ .

٤ - سورة ص آية : ٧.

٥ " -الرد على الجهمية" للإمام أبي سعيد الدرامي .

وَيَذْكُرُ الْإِمَامُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي" الْحَمَوِيَّةِ الْكُبْرَى" الْعَدِيدَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ وَكُتُبَهُمْ الَّتِي فَنَّدُوا فِيهَا آرَاءَ الْجَهْمِيَّةِ, وَوَضَّحُوا فَسَادَهَا وَضَلَالَهَا [1] .

وَذَابَتِ الْقَدَرِيَّةُ وَالْجَهْمِيَّةُ فِي غَيْرِهَا مِنَ الْمَذَاهِبِ, وَظَهَرَ عَلَى أَثَرِهَا مَذْهَبُ الْمُعْتَزِلَةِ .

وَأَحْيَانًا يُلَقَّبُ الْمُعْتَزِلَةُ بِالْجَهْمِيَّةِ; لِأَنَّ الْمُعْتَزِلَةَ وَافَقُوا الْجَهْمِيَّةَ فِي نَفْيِ الصِّفَاتِ عَنِ اللَّهِ, وَفِي خَلْقِ الْقُرْآنِ [2] .

وَيَذْكُرُ الشَّهْرِسْتَانِيُّ أَنَّ سَبَبَ تَسْمِيَتِهِمْ مُعْتَزِلَةً "أَنَّ وَاصِلَ بْنَ عَطَاءٍ -مُؤَسِّسَ الْمَدْرَسَةِ- حِينَ اخْتَلَفَ مَعَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فِي مَسْأَلَةِ مُرْتَكِبِي الْكَبِيرَةِ, وَأَدْلَى بِرَأْيِهِ فِيهَا, اعْتَزَلَ مَجْلِسَ الْحَسَنِ هُوَ وَبَعْضُ مَنْ وَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ الرَّأْيِ, وَجَلَسَ قُرْبَ إِحْدَى إِسْطُوَانَاتِ الْمَسْجِدِ يَشْرَحُهُ لَهُمْ, فَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ اعْتَزَلَ عَنَّا وَاصِلٌ, فَسُمِّيَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مُعْتَزِلَةً" [3] . .

وَيَمِيلُ الْأُسْتَاذُ أَحْمَد أَمِين إِلَى الِاعْتِقَادِ بِأَنَّ قَوْمًا مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنَ الْيَهُودِ أَطْلَقُوهُ عَلَيْهِمْ, وَالَّذِي جَعَلَهُ يُقَرِّرُ ذَلِكَ مَا قَرَأَهُ فِي كِتَابِ "الْخُطَطِ" مِنْ أَنَّ بَيْنَ الْفِرَقِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي ظَهَرَتْ بَعْدَ الْعَوْدَةِ مِنْ السَّبْيِ فِرْقَةٌ يُقَالُ لَهَا "الفروشيم", وَمَعْنَاهَا الْمُعْتَزِلَةُ .

فَيَقُولُ أَحْمَد أَمِين "إِنَّ الْمَعَاجِمَ اللُّغَوِيَّةَ الْحَدِيثَةَ تُثْبِتُ أَنَّ مَعْنَى "فروشيم" هُوَ Separated، وَهَذَا الْمَعْنَى يَنْطَبِقُ عَلَى الْمَعْنَى الَّذِي تُؤَدِّيه كَلِمَةُ مُعْتَزِلَةٍ, وَقَدْ كَانَ الفروشيم يَتَكَلَّمُونَ فِي الْقَدَرِ كَالْمُعْتَزِلَةِ, وَيَقُولُونَ لَيْسَ كُلُّ الْأَفْعَالِ خَالِقُهَا اللَّهُ -تَعَالَى- فَلَا يَبْعُدُ -وَالْحَالَةُ هَذِهِ- أَنْ يَكُونَ بَعْضُ الْيَهُودِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا قَدْ أَطْلَقُوا عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ هَذَا اللَّفْظَ لِمَا رَأَوْهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الفروشيم مِنْ شَبَهٍ فِي الْقَوْلِ بِالْقَدَرِ" [4]

.

١ – من ذلك كتاب "السنة" لأبي ذر الهروي، و"الأصول" لأبي عمر الطلمنكي، و"الأسماء والصفات" للبيهقي، وكتاب "السنة" للخلال، و"التوحيد" لابن خزيمة، وكلام أبي العباس عبد العزيز المكي صاحب الحيدة في الرد على الجهمية.

٢ " -فجر الإسلام" للأستاذ الدكتور أحمد أمين ص ٢٨٧ .

٣ – "المِلَل والنِّحَل" للشهرستاني جـــ ١، ص ٥٥.

٤ -يراجع "فجر الإسلام" ص ٢٨٩، وكتاب "المعتزلة" للأستاذ زهدي حسن جاد الله .

وَإِذَا كَانَتْ الْمُعْتَزِلَةُ تُعْتَبَرُ امْتِدَادًا لِآرَاءِ الْجَهْمِيَّةِ, وَتَتَّفِقُ مَعَهَا فِي كَثِيرٍ مِمَّا نَادَتْ بِهِ, فَمَنْ هُمْ الزَّنَادِقَةُ الَّذِينَ عَنَاهُمْ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ

حَقِيقَةُ الزَّنَادِقَةِ

سُؤَالٌ نَطْرَحُهُ بَيْنَ يَدَيِ الْقَارِئِ لِيَكُونَ مَدْخَلًا لَنَا فِي التَّعْرِيفِ بِالزَّنْدَقَةِ وَالزَّنَادِقَةِ .

فَنَقُولُ مَتَى ظَهَرَتْ كَلِمَةُ زَنْدَقَةٍ وَمِنْ أَيْنَ جَاءَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَمَا الْمَقْصُودُ بِهَا عِنْدَ إِمَامِنَا أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ .

تَتَّفِقُ كَثِيرٌ مِنْ مَعَاجِمِ اللُّغَةِ عَلَى أَنَّ الْمُفْرَدَ "زِنْدِيقٌ", وَالْجَمْعَ "زَنَادِقَةٌ", وَالْمَصْدَرَ "زَنْدَقَةٌ" .

وَيُحَدِّدُ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ ظُهُورَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ بِعَهْدِ "بَهْرَامَ بْنِ هُرْمُزَ" عِنْدَمَا أَتَاهُ "مَانِي" صَاحِبُ مَذْهَبِ الْمَانَوِيَّةِ, وَعَرَضَ عَلَيْهِ مَذْهَبَهُ الْقَائِلَ بِأَنَّ الْعَالَمَ نَشَأَ مِنْ أَصْلَيْنِ وَهُمَا النُّورُ وَالظُّلْمَةُ, وَعَنْ النُّورِ نَشَأَ كُلُّ خَيْرٍ, وَعَنْ الظُّلْمَةِ نَشَأَ كُلُّ شَرٍّ, وَالنُّورُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الشَّرِّ, وَالظُّلْمَةُ لَا تَقْدِرُ عَلَى الْخَيْرِ, وَهُوَ فِي هَذَا يَتَّفِقُ مَعَ مَذْهَبِ "زَرَادِشْت", إِلَّا أَنَّ "مَانِيَ" زَادَ عَلَيْهِ الدَّعْوَةَ إِلَى الرَّهْبَنَةِ وَالزُّهْدِ .

فَمَا كَانَ مِنْ بَهْرَامٍ إِلَّا أَنْ أَجَابَهُ احْتِيَالًا مِنْهُ عَلَيْهِ, إِلَى أَنْ أَحْضَرَ دُعَاتَهُ الْمُتَفَرِّقِينَ فِي الْبِلَادِ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى مَذَاهِبِ "الثَّنَوِيَّةِ", فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ الرُّؤَسَاءَ مِنْ أَصْحَابِهِ [1] . .

يَقُولُ صَاحِبُ "مُرُوجِ الذَّهَبِ" وَفِي أَيَّامِ "مَانِي" هَذَا ظَهَرَ اسْمُ الزَّنْدَقَةِ الَّذِي أُضِيفَ إِلَيْهِ الزَّنَادِقَةُ .

وَذَلِكَ أَنَّ الْفُرْسَ أَتَاهُمْ "زَرَادِشْتُ" بِكِتَابٍ يُسَمَّى "البستاه", وَعَمِلَ لَهُ التَّفْسِيرَ وَهُوَ "الزِّنْدُ", وَعَمِلَ لِهَذَا التَّفْسِيرِ شَرْحًا سَمَّاهُ "البازند", وَكُلُّ مَنْ أَوْرَدَ فِي شَرِيعَتِهِمْ شَيْئًا يُخَالِفُ الْمُنَزَّلَ الَّذِي هُوَ "البستاه", وَعَدَلَ إِلَى التَّأْوِيلِ الَّذِي هُوَ "الزِّنْدُ" قَالُوا زِنْدِيٌّ, فَأَضَافُوهُ إِلَى التَّأْوِيلِ, وَأَنَّهُ مُنْحَرِفٌ عَنْ الظَّاهِرِ مِنَ الْمُنَزَّلِ إِلَى تَأْوِيلٍ هُوَ بِخِلَافِ التَّنْزِيلِ, فَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ الْعَرَبُ أَخَذَتْ هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الْفُرْسِ وَقَالُوا زِنْدِيقٌ, وَالثَّنَوِيَّةُ هُمُ الزَّنَادِقَةُ وَلَحِقَ بِهَؤُلَاءِ سَائِرُ مَنِ اعْتَقَدَ الْقِدَمَ وَأَبَى الْحُدُوثَ .

فَإِذَا انْتَقَلْنَا إِلَى بَاحِثٍ آخَرَ مِثْلَ الْخُوَارِزْمِيِّ نَرَاهُ يَقُولُ إِنَّ كَلِمَةَ زِنْدِيقٍ تَعْرِيبٌ لِلْكَلِمَةِ الْفَارِسِيَّةِ الَّتِي كَانَ يُنْسَبُ بِهَا إِلَى كَلِمَةِ "زِنْدٍ", وَهِيَ اسْمُ كِتَابِ "مَزْدَكَ" فِي تَأْوِيلِ كِتَابِ "الافستا" لِزَرَادِشْت .

---

١ - "مروج الذهب" للمسعودي بتصرف جـ ١، ص ٢٥٠.

وَإِذَا كَانَ الْمَسْعُودِيُّ يَرَى أَنَّ الْكِتَابَ الْمُسَمَّى "بالبستاه" الَّذِي وَضَعَهُ "زَرَادِشْت" هُوَ نَفْسُهُ الَّذِي وَضَعَ شَرْحَهُ الْمُسَمَّى "بِالزِّنْدِ", فَإِنَّ الْخُوَارِزْمِيَّ يَخْتَلِفُ مَعَهُ, وَيَرَى أَنَّ الَّذِي وَضَعَ الشَّرْحَ لِكِتَابِ "البستاه" هُوَ مَزْدَك, وَلَيْسَ زَرَادِشْت [1] .

وَنَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ, لِمَا يُتَّبَعُ عَادَةً أَنَّ أَصْحَابَ الْمَذَاهِبِ يَضَعُونَ الْأُصُولَ الْأَسَاسِيَّةَ لَهُ, ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُومُ الْأَتْبَاعُ بِالشَّرْحِ وَالتَّفْسِيرِ .

وَيَتَّفِقُ صَاحِبُ "الْكَشَّاف" فِيمَا يَقُولُهُ الْمَسْعُودِيُّ عِنْدَمَا يَقُولُ إِنَّ تَعْرِيبَ كَلِمَةِ "زِنْدِيٍّ"; أَيْ الْمُعْتَقِدُ "بِالزِّنْد", وَهُوَ كِتَابُ "زَرَادِشْت .

فَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَتَعَرَّفَ عَلَى الزَّنَادِقَةِ, فَإِنَّ الْخَيَّاطَ الْمُعْتَزِلِيَّ فِي كِتَابِهِ "الانْتِصَارِ" يَسْتَعْمِلُهَا لِلدِّلَالَةِ عَلَى فِرْقَةٍ خَاصَّةٍ قَرِينَةٍ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى, فَيَقُولُ قَالَ ابْنُ الرَّاوَنْدِيِّ, وَزَعَمَ ثُمَامَةُ أَنَّ أَكْثَرَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ وَالزَّنَادِقَةِ وَالدَّهْرِيَّةِ يَصِيرُونَ فِي الْقِيَامَةِ تُرَابًا, وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ .

بَيْنَمَا يَرَى صَاحِبُ "الْفِهْرِسْت" أَنَّ الزَّنَادِقَةَ كَلِمَةٌ تُطْلَقُ عَلَى أَصْحَابِ "مَانِي" وَمُعْتَنِقِي مَذْهَبِهِ, وَلَيْسَتْ كَلِمَةً عَامَّةً تُطْلَقُ عَلَى كُلِّ كَافِرٍ .

وَيَرَى ابْنُ خُشَيْشٍ الْحَنْبَلِيُّ, الْمُتَوَفَّى سَنَةَ هـــ, أَنَّ الزَّنَادِقَةَ خَمْسُ فِرَقٍ .

١- الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الْخَلْقَ وَالْخَالِقَ, وَذَلِكَ بِرَدِّهِمْ الْعَالَمَ إِلَى خَلِيطٍ غَيْرِ ثَابِتٍ .

٢- الْمَانَوِيَّةُ أَصْحَابُ "مَانِي" .

٣- الْمَزْدَكِيَّةُ, وَهُمْ الثَّنَوِيَّةُ أَصْحَابُ "مَزْدَكَ" .

٤- وَالْعَبْدَكِيَّةُ وَهُمْ زُهَّادٌ لَا يَأْكُلُونَ الْحَيَوَانَ .

٥- الْمُعَطِّلَةُ وَهُمْ يُنْكِرُونَ الْخَالِقَ الْمُدَبِّرَ, وَيَزْعُمُونَ أَنَّ النَّاسَ بِمَنْزِلَةِ النَّبَاتِ [2] .

---

١ -دائرة المعارف الإسلامية، مادة "زنديق ."

٢ - "فجر الإسلام" للدكتور أحمد أمين، بحث في كلمة زندقة.

أَمَّا الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ, فَيَرَى أَنَّ الْجَهْمِيَّةَ وَالْمُعْتَزِلَةَ -الَّذِين يَقُولُونَ إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ- هُمْ الزَّنَادِقَةُ .

وَيُقَرِّرُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ ﷺ وَالَّذِي أَخَذَ الْكَثِيرَ عَنْ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فِي كِتَابِهِ "خَلْقِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ", أَنَّ الْجَهْمِيَّةَ هُمْ الزَّنَادِقَةُ .

قَالَ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ يُوسُفَ الزِّمِّيُّ, قَالَ "كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ, فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ, مَا تَقُولُ فِي قَوْمٍ يَقُولُونَ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ .

فَقَالَ أَمِنَ الْيَهُودِ؟ قَالَ لَا .

قَالَ فَمِنَ النَّصَارَى؟ قَالَ لَا .

قَالَ فَمِنَ الْمَجُوسِ؟ قَالَ لَا .

قَالَ فَمَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ قَالَ لَيْسَ هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ, هَؤُلَاءِ الزَّنَادِقَةُ .

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ "الْجَهْمِيَّةُ الزَّنَادِقَةُ", إِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى, وَحَلَفَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ بِالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَنْ قَالَ إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ زِنْدِيقٌ [1] .

ثُمَّ اسْتُعْمِلَتْ "الزَّنْدَقَةُ" فِي الْإِلْحَادِ عُمُومًا, قَالَ أَبُو يُوسُفَ ثَلَاثَةٌ لَا يَسْلَمُونَ مِنْ ثَلَاثَةٍ مَنْ طَلَبَ النُّجُومَ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ الزَّنْدَقَةِ, وَمَنْ طَلَبَ الْكِيمْيَاءَ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ الْفَقْرِ, وَمَنْ طَلَبَ غَرَائِبَ الْحَدِيثِ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ الْكَذِبِ [2] .

وَيَرَى الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ فِي كِتَابِهِ "الْمُنْقِذُ مِنْ الضَّلَالِ" "إِنَّ مِنْ الزَّنْدَقَةِ إِنْكَارَ وُجُودِ اللَّهِ, وَالْقَوْلَ بِقِدَمِ الْعَالَمِ, وَإِنْكَارَ الْحَيَاةِ الْأُخْرَى وَمَا فِيهَا, وَإِنْكَارَ النُّبُوَّاتِ" [3] .

---

١ " -خلق أفعال العباد" للإمام البخاري .

٢ - دائرة المعارف الإسلامية، مادة "زنديق".

٣ " -المنقذ من الضلال" للغزالي .

وَلَا شَكَّ أَنَّ كَلِمَةَ "زَنْدَقَةٍ" -إِذَا تَتَبَّعْنَا اسْتِعْمَالَهَا- تَدُلُّ عَلَى كُلِّ إِنْكَارٍ لِأَصْلٍ مِنْ أُصُولِ الْعَقِيدَةِ, أَوْ عَلَى أَيِّ رَأْيٍ يُؤَدِّي إِلَى ذَلِكَ, أَوْ عَلَى كُلِّ بِدْعَةٍ فِي تَفْسِيرِ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ .

وَلَقَدْ تُوُسِّعَ فِي ذَلِكَ, حَتَّى قِيلَ فِي عَصْرِ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ وَالْإِمَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ "مَنْ تَمَنْطَقَ فَقَدْ تَزَنْدَقَ"[1] يَنْهَوْنَ بِذَلِكَ عَنْ دِرَاسَةِ الْمَنْطِقِ الْأَرِسْطِيِّ

إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ

لَمَحَاتٌ مِنْ حَيَاةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ

وُلِدَ أَحْمَدُ ﵁ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ١٦٤هـ، كَمَا ذَكَرَ ابْنُهُ صَالِحٌ, وَحَكَاهُ عَنْهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ .

وَمَاتَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٢٤١هـ، وَخِلَالَ هَذِهِ الْفَتْرَةِ الْقَصِيرَةِ مِنْ عُمْرِ الزَّمَنِ نَقْتَطِفُ لَمَحَاتٍ مِنْ حَيَاتِهِ, وَصُوَرًا مِنْ أَخْلَاقِهِ, وَظِلَالًا لِنَدُلَّ عَلَيْهِ .

وَمِنْ هَذِهِ الظِّلَالِ مَا يُحَدِّثُنَا بِهِ عَبَّاسٌ النَّحْوِيُّ, وَهُوَ يَصِفُ إِمَامَ السُّنَّةِ, فَيَقُولُ رَأَيْتُهُ, فَرَأَيْتُ رَجُلًا حَسَنَ الْوَجْهِ, رَبْعَةً يَخْضِبُ بِالْحِنَّاءِ, لَيْسَ بِالْقَانِي, وَفِي لِحْيَتِهِ شَعَرَاتٌ سُودٌ يَلْبَسُ الثِّيَابَ الْبِيضَ, وَمُعْتَمًّا وَعَلَيْهِ إِزَارٌ .

أَمَا الْمَرْوَزِيُّ فَيَزِيدُنَا تَعْرِيفًا بِهِ فَيَقُولُ لَمْ أَرَ الْفَقِيرَ فِي مَجْلِسٍ أَعَزَّ مِنْهُ فِي مَجْلِسِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ, كَانَ مَائِلًا إِلَيْهِمْ, مُقَصِّرًا عَنْ أَهْلِ الدُّنْيَا, وَكَانَ فِيهِ حِلْمٌ, وَلَمْ يَكُنْ بِالْعَجُولِ, وَكَانَ كَثِيرَ التَّوَاضُعِ, تَعْلُوهُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ, إِذَا جَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الْعَصْرِ لِلْفُتْيَا لَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى يُسْأَلَ, وَإِذَا خَرَجَ إِلَى مَسْجِدِهِ لَمْ يَتَصَدَّرْ, يَقْعُدُ حَيْثُ انْتَهَى لَهُ الْمَجْلِسُ .

وَهُوَ فِي هَذَا مُتَأَدِّبٌ بِأَدَبِ الرَّسُولِ ﷺ وَمُتَخَلِّقٌ بِأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ .

---

١ - "تلبيس إبليس" لابن الجوزي.

فَمِنْ قَبْلِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُلْقِي عَلَى سَمْعِ الْبَشَرِيَّةِ كَافَّةً مَا أَوْحَى إِلَيْهِ رَبُّهُ ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ ﴾[1] .

وَيَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ الْفُقَرَاءُ الْجِيَاعُ, أَصْحَابُ الذِّكْرِ بِالطِّيبِ وَالسِّيرَةِ الْحَسَنَةِ, الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِدَاعِي اللَّهِ, فَيَفْرِشُ لَهُمْ رِدَاءَهُ, وَيَقُولُ أَهْلًا بِمَنْ أَوْصَانِي بِهِمْ رَبِّي خَيْرًا .

وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ مُتَّبِعٌ لَا مُبْتَدِعٌ, مُعْرِضٌ عَنْ الْقُبْحِ وَاللَّغْوِ, لَا يُسْمَعُ مِنْهُ إِلَّا الْمُذَاكَرَةُ بِالْحَدِيثِ وَذِكْرُ الصَّالِحِينَ, وَكَانَ أَنْقَى النَّاسِ ثَوْبًا, وَأَشَدَّهُمْ بَيَاضًا .

أَمَّا اللَّمَحَاتُ الَّتِي نَقْتَبِسُهَا مِنْ حَيَاتِهِ فَنَقُولُ :

نَشَأَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رضي الله عنه كَمَا يَنْشَأُ عُظَمَاءُ الرِّجَالِ وَأَفْذَاذُ الْعُلَمَاءِ, يَتِيمًا لَمْ يَعْرِفْ -كَأَتْرَابِهِ- الطَّرِيقَ إِلَى صَدْرِ الْوَالِدِ الشَّفُوقِ, وَلَمْ تَتَعَوَّدْ أُذُنَاهُ عَلَى سَمَاعِ كَلِمَاتِ الْمُدَاعَبَةِ وَالْمُنَاغَاةِ مِنْ وَالِدٍ حَنُونٍ .

وَلَكِنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- حَاطَهُ بِعِنَايَتِهِ, وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ نِعَمَهُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ, وَعَوَّضَهُ مِنْ حَنَانِ الْأُمِّ مَا فَقَدَهُ مِنْ رِعَايَةِ الْأَبِ .

وَلَمْ تَدَّخِرِ الْأُمُّ جُهْدًا فِي الْعِنَايَةِ بِفَتَاهَا, فَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا لَهَا, وَهِيَ أَهَمُّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا لَهُ .

وَمَا كَادَ يَشُبُّ عَنِ الطَّوْقِ, حَتَّى عَرَفَ الطَّرِيقَ إِلَى أَمَاكِنِ الْعِلْمِ وَحَلَقَاتِ الدَّرْسِ, وَكَانَ يَذْهَبُ عَلَيْهَا مُبَكِّرًا, وَيَتَرَقَّبُهَا مَشُوقًا .

يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ "كُنْتُ رُبَّمَا أَرَدْتُ الْبُكُورَ, فَتَأْخُذُ أُمِّي بِثِيَابِي وَتَقُولُ حَتَّى يُؤَذِّنَ النَّاسُ أَوْ حَتَّى يُصْبِحُوا" [2] . .

---

١ -سورة القصص آية : ٥ .

٢ – عبد الحليم الجندي، "أحمد بن حنبل".

وَفِي هَذِهِ الْمَجَالِسِ كَانَ مُتَمَيِّزًا بِأَفْعَالِهِ وَصِفَاتِهِ, مُنْفَرِدًا بِأَخْلَاقِهِ وَسُلُوكِهِ, بَهَرَ لُدَّاتِهِ بِقُوَّةِ ذَاكِرَتِهِ, وَأَعْجَبَ الْآخَرِينَ بِسَمْتِهِ وَحُسْنِ إِصْغَائِهِ .

رَوَى الْمُزَنِيُّ أَنَّ الشَّافِعِيَّ قَالَ: ثَلَاثَةٌ مِنْ عَجَائِبِ الزَّمَانِ عَرَبِيٌّ لَا يُعْرِبُ كَلِمَةً, وَهُوَ أَبُو ثَوْرٍ .

وَأَعْجَمِيٌّ لَا يُخْطِئُ فِي كَلِمَةٍ, وَهُوَ الْحَسَنُ الزَّعْفَرَانِيُّ .

وَصَغِيرٌ كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا صَدَّقَهُ الْكِبَارُ, وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ .

وَفِي حَلَقَةِ الْإِمَامِ أَبِي يُوسُفَ تَعَرَّفَ عَلَى آرَاءِ مَدْرَسَةِ الرَّأْيِ فِي الْفِقْهِ, وَاكْتَسَبَ مِنْ صِفَاتِ صَاحِبِهَا مَعْرِفَةَ وَضْعِ الْعَدْلِ فِي مَوْضِعِهِ; حَتَّى لَا يَمِيلَ عَنْ الْحَقِّ قِيدَ شَعَرَةٍ, وَالتَّأَنِّي فِي الْحُكْمِ; حَتَّى لَا يَصْدُرَ عَنْ رَأْيٍ عَجِلٍ, أَوْ فَلْتَةٍ طَارِئَةٍ, وَالِالْتِزَامَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي كُلِّ مَا يَأْتِي وَمَا يَدَعُ, وَلَقَدْ كَانَ الْإِمَامُ أَبُو يُوسُفَ كَذَلِكَ .

يَقُولُ فِيهِ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ صَاحِبُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ "أَبُو يُوسُفَ صَاحِبُ حَدِيثٍ, وَصَاحِبُ فِقْهٍ" .

وَيَقُولُ "لَيْسَ فِي أَصْحَابِ الرَّأْيِ أَكْثَرُ حَدِيثًا وَلَا أَثْبَتُ مِنْ أَبِي يُوسُفَ", وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي هَذِهِ الْحَلَقَةِ –حَلَقَةِ أَبِي يُوسُفَ– كَانَ يُعَدُّ مِنْ قِبَلِ الْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ إِعْدَادًا كَامِلًا لِيَفْصِلَ فِي الْقَضِيَّةِ الْكُبْرَى الَّتِي سَتَتَعَرَّضُ لَهَا الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ قَضِيَّةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ .

أَمَّا وَالِدُهُ, فَكَانَ أَحَدَ قُوَّادِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ, وَقُوَّادُ الْمُسْلِمِينَ دَائِمًا كَانُوا لَا يَعْرِفُونَ أَنْصَافَ الْحُلُولِ, إِمَّا النَّصْرُ وَإِمَّا الشَّهَادَةُ , وَمَعَ أَنَّ الْقَائِدَ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى ابْنَهُ .

لَكِنَّ الِابْنَ وَرِثَ عَنْ أَبِيهِ صِفَةَ الْقَائِدِ, وَلَقَدْ قَادَ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ فِي فَتْرَةٍ مِنْ أَحْلَكِ فَتَرَاتِهَا إِلَى طَرِيقِ الْفَلَاحِ, وَجَنَّبَهَا الْمَزَالِقَ وَالْأَخْطَارَ .

قَادَهَا بِصَلَابَةِ الرَّأْيِ, وَقُوَّةِ الْحُجَّةِ, وَبِالدَّعْوَةِ إِلَى التَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ, قَادَهَا إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ, وَأَبْعَدَهَا عَنْ ضَلَالِ الْهَوَى, وَكَشَفَ لَهَا زَيْفَ الْبَاطِلِ, فَلَمْ تَنْخَدِعْ بِأَسَالِيبِهِ, وَدَعَاهَا لِلْوُقُوفِ أَمَامَ بَطْشِ السُّلْطَانِ وَقُوَّتِهِ الْمُسَلَّطَةِ, فَلَمْ تُرْهِبْهَا السُّيُوفُ الْمُشْرَعَةُ, وَلَا الرُّءُوسُ الطَّائِرَةُ مِنْ فَوْقِ أَعْنَاقِ أَصْحَابِهَا, حَتَّى وَصَلَ بِالْأُمَّةِ إِلَى مَرْفَأِ الْأَمَانِ, وَحَطَّتْ رَحْلَهَا عَلَى شَاطِئِ الِاتِّبَاعِ, اتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .

أَمَّا أَعْدَاءُ الْأُمَّةِ فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ عِقَابَهُ, وَيُحَدِّثُنَا التَّارِيخُ أَنَّ أَحَدَهُمْ أُحْرِقَ بِالنَّارِ, وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزَّيَّاتُ, وَثَانِيهِمْ -وَهُوَ "هرثمة"- قَطَّعَهُ الْعَامَّةُ إِرَبًا إِرَبًا .

وَأَمَّا "أَبُو الْعُرُوقِ" الْجَلَّادُ الَّذِي جَلَدَ الْإِمَامَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ, فَمَكَثَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يَنْبَحُ نُبَاحَ الْكِلَابِ .

وَيُصَابُ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ بِالْفَالِجِ, وَيُعْزَلُ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ مِنَ الْقَضَاءِ, وَيَمُوتُ الِابْنُ فِي حَيَاةِ الْأَبِ, ثُمَّ يَمُوتُ الْأَبُ فِي أَسْوَأِ حَالٍ .

أَمَّا الْجَاحِظُ -رَفِيقُ الْمَأْمُونِ- الَّذِي مَاتَ "بالبدندون", فَقَدْ بَقِيَ سِنِينَ تَتَوَاتَرُ عَلَيْهِ الْعِبَرُ; لِيَرَى النَّاسُ رَأْيَ الْعَيْنِ الْكَاتِبَ الَّذِي هَزَأَ بِالْكَثِيرِينَ وَهُوَ يَسْتَدِرُّ الْعَطْفَ, وَيَشْكُو إِلَى الْخَلْقِ حَيْثُ لَا تَنْفَعُ الشَّكْوَى .

يَقُولُ الْمُبَرِّدُ دَخَلْتُ عَلَى الْجَاحِظِ فِي آخِرِ أَيَّامِهِ وَهُوَ عَلِيلٌ, فَقُلْتُ كَيْفَ أَنْتَ .

فَقَالَ كَيْفَ يَكُونُ مَنْ نِصْفُهُ مَفْلُوجٌ, وَلَوْ نُشِرَ بِالْمَنَاشِيرِ لَمَا أَحَسَّ بِهِ, وَنِصْفُهُ مُنْقَرِسٌ لَوْ طَارَ الذُّبَابُ بِقُرْبِهِ لَآلَمَهُ .

لَقَدْ حَكَمَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ, وَعَادَتْ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ إِلَى وَحْدَةِ الْكَلِمَةِ, وَإِلَى نُورِ اللَّهِ

صُوَرٌ مِنْ أَخْلَاقِهِ

الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ, وَمَعْقِدُ الرَّجَاءِ لِلْأُمَّةِ, وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عِلْمًا أَكْثَرُهُمْ خَشْيَةً لِلَّهِ, قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[1] .

وَيَقُولُ مَسْرُوقٌ "بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَخْشَى اللَّهَ, وَبِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الْجَهْلِ أَنْ يُعْجَبَ بِعِلْمِهِ" .

١ -سورة فاطر آية : ٢٨ .

وَسُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ مَنِ النَّاسُ؟ وَأَجَابَ الْعُلَمَاءُ فَقِيلَ لَهُ وَمَنِ الْمُلُوكُ؟ وَأَجَابَ الزُّهَّادُ فَقِيلَ لَهُ مَنِ السَّفَلَةُ؟ فَأَجَابَ مَنْ يَأْكُلُ بِدِينِهِ .

وَلَمَّا سُئِلَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ مَنِ الْغَوْغَاءُ؟ قَالَ مَنْ يَطْلُبُونَ بِعِلْمِهِمْ الدُّنْيَا" .

وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ كَانَ يَخْشَى اللَّهَ وَيَخَافُهُ, وَيَعْمَلُ فِي مَرْضَاتِهِ, وَيَعِفُّ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ .

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ دَفَعَ إِلَيَّ الْمَأْمُونُ أَمْوَالًا أُقَسِّمُهَا عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ, وَفِيهِمْ ضُعَفَاءُ, فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا أَخَذَ, إِلَّا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ, فَإِنَّهُ أَبَى .

وَقَالَ لَهُ ابْنُهُ صَالِحٌ يَا أَبَتِ, إِنَّ أَحْمَدَ الدَّوْرَقِيَّ أَخَذَ أَلْفَ دِينَارٍ .

فَقَالَ يَا بُنَيَّ, وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى .

حَتَّى صِلَةُ الْإِخْوَانِ يَعِفُّ عَنْهَا, وَيَرْفُضُ أَنْ يَقْبَلَهَا مَهْمَا كَانَتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا, وَقَدْ مَرَّتْ بِهِ ظُرُوفٌ صَعْبَةٌ, وَمَعَ ذَلِكَ تَمَسَّكَ بِمَبْدَئِهِ, وَرَفَضَ مَدَّ يَدِهِ لِيَأْخُذَ شَيْئًا مِنْهَا .

خَرَجَ إِلَى عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ هَمَّامٍ بِالْيَمَنِ, فَكَرَى نَفْسَهُ مَعَ الْحَمَّالِينَ, وَلَمْ يَقْبَلْ صِلَاتِ الْإِخْوَانِ وَلَا قُرُوضَهُمْ, وَفِيهِمْ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ, وَآثَرَ أَنْ يَنْسِجَ التِّكَكَ لِلسَّرَاوِيلِ, وَيَبِيعَ وَيَتَقَوَّتَ .

وَقِيلَ إِنَّهُ أَقَامَ سَنَتَيْنِ, وَرَهَنَ نَعْلاً لَهُ عِنْدَ خَبَّازٍ بِصَنْعَاءَ .

وَلَمَّا سُرِقَتْ ثِيَابُهُ بِمَكَّةَ كَانَتْ مَعَهَا أَلْوَاحٌ مَكْتُوبَةٌ, فَسَأَلَ صَاحِبَةَ الدَّارِ عَنْهَا, فَقَالَتْ هِيَ فِي الطَّاقِ

.

فَلَمْ يَجْزَعْ مَا دَامَتْ سَلَّمَتِ الْأَلْوَاحَ لَهُ, وَلَزِمَ دَارَهُ, فَافْتَقَدَهُ صَحْبُهُ, فَجَاءُوهُ وَعَلَيْهِ خَلَقَانِ لَا يَعْرِفُ كَيْفَ يَخْرُجُ لِلنَّاسِ, فَغَلَقَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَابَ, وَاجْتَمَعَ الْأَصْحَابُ, فَجَهِدُوا جَهْدَهُمْ لِيُقْنِعُوهُ أَنْ يُقْرِضُوهُ لِيَشْتَرِيَ ثَوْبًا فَأَبَى, فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ تَعَاقَدُوا مَعَهُ عَلَى عَمَلٍ أَنْ يَنْسَخَ لَهُمْ مُؤَلَّفًا, وَآتَوْهُ أَجْرَهُ دِينَارًا اشْتَرَوْا بِهِ ثَوْبًا لَهُ, وَبَقِيَ الْكِتَابُ فِي خِزَانَةِ صَاحِبِهِ يُفَاخِرُ بِهِ أَجْيَالَ الْفُقَهَاءِ فِيمَا بَعْدُ, يَقُولُ "كِتَابٌ نَسَخَهُ بِيَدِهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ" .

وَهُوَ فِي هَذَا الْعَمَلِ مُتَّبِعٌ لِسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ وَدَعْوَتِهِ إِلَى الْعَمَلِ, وَقَوْلِهِ فِي الْيَدِ الَّتِي تَوَرَّمَتْ مِنْ كَثْرَةِ الْعَمَلِ ﴿ هَذِهِ يَدٌ يُحِبُّهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ .

وَمُنَفِّذٌ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾[1] .

قِيلَ لِأَحْمَدَ بِمَا تَلِينُ الْقُلُوبُ .

قَالَ بِأَكْلِ الْحَلَالِ .

فَمَضَى السَّائِلُ إِلَى بِشْرٍ, فَسَأَلَهُ فَأَجَابَ ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾[2] .

قَالَ السَّائِلُ إِنَّهُ سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ -أَحْمَدَ- فَقَالَ بِأَكْلِ الْحَلَالِ .

قَالَ بِشْرٌ جَاءَكَ بِالْأَصْلِ .

فَمَرَّ السَّائِلُ إِلَى عَبْدِ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقِ يَسْأَلُهُ, فَأَجَابَهُ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ .

قَالَ الرَّجُلُ فَإِنِّي جِئْتُ مِنْ عِنْدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ, فَاحْمَرَّتْ وَجْنَتَا عَبْدِ الْوَهَّابِ, وَسَأَلَهُ مَاذَا قَالَ؟ قَالَ أَجَابَنِي بِأَكْلِ الْحَلَالِ .

قَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ جَاءَكَ بِالْجَوْهَرِ, الْأَصْلِ كَمَا قَالَ" .

رَحِمَ اللَّهُ إِمَامَ السُّنَّةِ, لَقَدْ كَانَ دَائِمًا يَضَعُ نُصْبَ عَيْنَيْهِ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿ اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ ﴾

أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَالْحَيَاةُ الِاجْتِمَاعِيَّةُ

١ -سورة التوبة آية : ١٠٥ .

٢ - سورة الرعد آية : ٢٨.

يُصَوِّرُ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ بِأَنَّهَا عَلَاقَةُ مَوَدَّةٍ وَرَحْمَةٍ, قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (١) .

وَحَيَاةُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ كَانَتْ صُورَةً مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ نَعْنِي حَيَاتَهُ الزَّوْجِيَّةَ الَّتِي عَاشَهَا مَعَ زَوْجَاتِهِ الثَّلَاثِ .

وَنَدَعُ الْإِمَامَ يُحَدِّثُنَا حَدِيثَ الْوَفَاءِ وَالْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ عَنْ زَوْجَتِهِ الْأُولَى, فَيَقُولُ "أَقَامَتْ مَعِي أُمُّ صَالِحٍ ثَلَاثِينَ سَنَةً, فَمَا اخْتَلَفْتُ أَنَا وَهِيَ فِي كَلِمَةٍ" وَكَيْفَ يَكُونُ خِلَافٌ وَكِلَاهُمَا يُطَبِّقُ شَرْعَ اللَّهِ .

وَكَيْفَ يَكُونُ وَكِلَاهُمَا يَتَأَدَّبُ بِأَدَبِ الرَّسُولِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ لَقَدْ كَانَتْ زَوْجَةً مُؤْمِنَةً صَابِرَةً مُطِيعَةً لِزَوْجِهَا, تَعْرِفُ مَا عَلَيْهَا مِنْ وَاجِبَاتٍ, فَلَمْ تُقَصِّرْ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا, فَكَانَتْ لَهُ رَيْحَانَةً جَمَّلَتْ حَيَاتَهُ, وَآنَسَتْ وَحْشَتَهُ, وَسَاعَدَتْهُ فِي الِالْتِزَامِ بِأَوَامِرِ دِينِهِ, وَفِي أَدَاءِ تَكَالِيفِ رَبِّهِ, حَتَّى أَتَاهَا أَجَلُهَا, فَذَهَبَتْ إِلَى رَبِّهَا رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً .

وَلَمْ تَطُلْ بِهِ الْوِحْدَةُ طَوِيلاً, فَقَرَّرَ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ زَوْجَةٍ ثَانِيَةٍ, وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْمَرَّةَ بَعِيدَةً عَنْهُ, وَلَكِنَّهَا قَرِيبَةٌ مِنْهُ; فَهِيَ ابْنَةُ عَمِّهِ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْخَلَّالُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ خَلَفٍ, أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَنْبَرٍ قَالَ لَمَّا مَاتَتْ أُمُّ صَالِحٍ قَالَ أَحْمَدُ لِامْرَأَةٍ عِنْدَهُمْ اذْهَبِي إِلَى فُلَانَةَ -ابْنَةِ عَمِّي- فَاخْطُبِيهَا لِي مِنْ نَفْسِهَا .

قَالَتْ فَأَتَيْتُهَا فَأَجَابَتْهُ, فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَيْهِ قَالَ "كَانَتْ أُخْتُهَا تَسْمَعُ كَلَامَكِ؟ - وَكَانَتِ الْأُخْتُ الْأُخْرَى بِعَيْنٍ وَاحِدَةٍ, فَقَالَتْ لَهُ نَعَمْ .

قَالَ فَاذْهَبِي فَاخْطُبِي تِلْكَ الَّتِي بِعَيْنٍ وَاحِدَةٍ, فَأَتَتْهَا فَأَجَابَتْهُ, وَهِيَ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِهِ .

أَهِيَ دِقَّةُ الْإِحْسَاسِ وَرِقَّةُ الشُّعُورِ .

---

١ -سورة الروم آية : ٢١ .

أَمْ هُوَ الْإِيمَانُ الْغَامِرُ الَّذِي يُسَيْطِرُ عَلَى الْإِنْسَانِ, فَيَدْفَعُهُ إِلَى الْعَمَلِ عَلَى إِسْعَادِ الْآخَرِينَ, حَتَّى وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ يَتَعَارَضُ مَعَ رَغَبَاتِهِ وَمُيُولِهِ .

أَكَانَتِ الْأُخْرَى تَسْمَعُ كَلَامَكِ؟ هَكَذَا قَالَ الْإِمَامُ -وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا صَاحِبَةُ عَاهَةٍ- مَاذَا تَقُولُ فِي نَفْسِهَا .

وَلِمَاذَا لَمْ يَخْطُبْهَا هِيَ؟ أَلَأَنَّ اللَّهَ أَصَابَهَا بِذَلِكَ؟ وَمَا حِيلَتُهَا فِيهِ .

وَكَأَنَّ أَمْثَالَ هَذِهِ الْأَفْكَارِ وَالتَّسَاؤُلَاتِ قَدْ أَخَذَتْ بِلُبِّ الْإِمَامِ أَنْ يَعُودَ إِلَى الثَّانِيَةِ, وَخَيْرًا فَعَلَ .

فَأَقَامَ مَعَهَا سَبْعًا, ثُمَّ قَالَتْ لَهُ كَيْفَ رَأَيْتَ يَا ابْنَ عَمِّي؟ أَنْكَرْتَ شَيْئًا .

قَالَ الْإِمَامُ لَا, إِلَّا أَنَّ نَعْلَكِ هَذِهِ تَصِرُّ .

وَحَرَكَةُ النَّعْلِ هَذِهِ, وَمَا يُخْرِجُهُ مِنْ أَصْوَاتٍ, قَدْ تَأْتِي مُتَعَمَّدَةً مِنَ الْمَرْأَةِ لِتَلْفِتَ نَظَرَ الْآخَرِ إِلَى دَلِّهَا وَحُسْنِهَا وَسَلَامَةِ قَوَامِهَا, وَقَدْ نَهَى الْإِسْلَامُ عَنْهُ خَارِجَ الْمَنْزِلِ مَنْعًا مَنْ تَطَلُّعِ الْعَامَّةِ إِلَى مَفَاتِنِ الْمَرْأَةِ, أَمَّا فِي دَاخِلِ الْبَيْتِ, وَمَعَ خَلْوَةِ الرَّجُلِ فَلَا .

وَلَكِنَّ إِمَامَنَا أَنْكَرَ دَلَالَ الْعَرُوسِ بِنَعْلٍ صَرَّارَةٍ, حَتَّى وَلَوْ كَانَ الصَّرِيرُ دَاخِلَ دَارِهِ .

وَاسْتَجَابَتِ الزَّوْجَةُ لِتَعْلِيمَاتِ زَوْجِهَا; لِأَنَّهَا مُؤْمِنَةٌ قَانِتَةٌ صَادِقَةٌ, وَإِلَّا لَمَا ظَفِرَتْ بِإِمَامِ السُّنَّةِ, قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[1] .

وَلَكِنَّ هَذِهِ الزَّوْجَةَ لَمْ تُكْمِلْ بَقِيَّةَ الرِّحْلَةِ مَعَ إِمَامِنَا, وَتَرَكَتْهُ ذَاهِبَةً إِلَى رَبِّهَا, بَعْدَ أَنْ أَدَّتْ رِسَالَتَهَا, وَأَقَرَّتْ عَيْنَ زَوْجِهَا بِالْبَنِينَ .

١ - سورة النور آية : ٢٦.

مَاذَا يَفْعَلُ الْإِمَامُ؟ أَيعيشُ مَعَ وِحْدَتِه؟ إِنَّ الْحَيَاةَ بِغَيْرِ زَوْجَةٍ شَيْءٌ لَا يَقْبَلُهُ الرِّجَالُ بِسُهُولَةٍ, فَمَا بَالُكَ بِرَجُلٍ يُطَبِّقُ السُّنَّةَ فِي كُلِّ مَا يَأْتِي مِنْ أَمْرٍ أَوْ يَدَعُ مِنْ سُلُوكٍ, وَيَتَّخِذُهَا مَنْهَجًا وَسُلُوكًا؟ وَيُقَرِّرُ لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ مَا قَالَهُ نَبِيُّهُمْ ﷺ ﴿ لَا رَهْبَانِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ ﴾ إِذَنْ, لَا بُدَّ مِنْ زَوْجَةٍ أَوْ جَارِيَةٍ يَتَسَرَّى بِهَا .

قَالَ الْخَلَّالُ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ, حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ, حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ يَحْيَى قَالَ قَالَ أَبُو يُوسُفَ بْنُ بَخْتَانَ لَمَّا أَمَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَنْ نَشْتَرِيَ لَهُ الْجَارِيَةَ مَضَيْتُ أَنَا وَفَوْرَانُ, فَتَبِعَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ, فَقَالَ لِي يَا أَبَا يُوسُفَ, وَيَكُونُ لَهَا لَحْمٌ .

قَالَ زُهَيْرُ بْنُ صَالِحٍ لَمَّا تُوُفِّيَتْ أَمُّ عَبْدِ اللَّهِ "اشْتَرَى حُسْنًا" فَوَلَدَتْ مِنْهُ زَيْنَبَ, ثُمَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ تَوْأَمًا, وَمَاتَا بِالْقُرْبِ مِنْ وِلَادَتِهِمَا, ثُمَّ وَلَدَتْ الْحَسَنَ وَمُحَمَّدًا, فَعَاشَا حَتَّى صَارَا مِنْ السِّنِّ إِلَى نَحْوٍ مَنْ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً, وَلَدَتْ بَعْدَهُمَا سَعْدًا .

وَلَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الزَّوْجَةُ وَإِمَامُنَا فِي عُسْرٍ مِنَ الْعَيْشِ, وَضِيقٍ بِالْحَيَاةِ, فَكَانَتْ لَهُ هَذِهِ الزَّوْجَةُ خَيْرَ مُعِينٍ لَهُ عَلَى ذَلِكَ, وَقَدَّمَتْ مَا تَمْلِكُ مِنْ مَتَاعٍ قَلِيلٍ بِنَفْسٍ رَاضِيَةٍ, وَوَقَفَتْ بِجِوَارِ زَوْجِهَا تُسَاعِدُهُ بِمَا تَعْزِلُ بِيَدَيْهَا, فَيَأْخُذُهُ إِمَامُنَا وَيَبِيعُهُ فِي السُّوقِ, فَيُفَرِّجُ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ أَزَمَاتٍ, وَهَذِهِ الزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ لَهَا قُدْوَةٌ بِأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- الَّتِي قَدَّمَتْ مَالَهَا وَتِجَارَتَهَا وَكُلَّ مَا تَمْلِكُ لِزَوْجِهَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَوَقَفَتْ بِجِوَارِهِ تَشُدُّ أَزْرَهُ, وَتُخَفِّفُ مَا بِهِ, وَتَصُدُّ عَنْهُ كَيْدَ الْكَائِدِينَ, وَدَسَّ الْمُعْرِضِينَ الْحَاقِدِينَ, وَهَذَا مَا فَعَلَتْهُ "حُسْنٌ" زَوْجُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ .

قَالَ الْخَلَّالُ وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ بَحْرٍ, سَمِعْتُ حُسْنًا أُمَّ وَلَدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ تَقُولُ قُلْتُ لِمَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَصْرِفُ فَرْدَ خَلْخَالِي .

قَالَ وَتَطِيبُ نَفْسُكِ .

قَالَتْ نَعَمْ .

قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَكِ لِهَذَا .

قَالَتْ فَأَعْطَيْتُهُ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ صَالِحٍ, فَبَاعَهُ بِثَمَانِيَةِ دَنَانِيرَ وَنِصْفٍ, وَفَرَّقَهَا وَقْتَ حَمْلِي, فَلَمَّا وَلَدَتْ حَسَنًا أَعْطَى مَوْلَاتِي كَرَّامَةَ دِرْهَمًا -وَهِيَ امْرَأَةٌ كَبِيرَةٌ كَانَتْ تَخْدِمُهُمْ- وَقَالَ لَهَا اذْهَبِي إِلَى ابْنِ شُجَاعٍ الْقَصَّابِ يَشْتَرِي لَكِ بِهَذَا رَأْسًا .

فَاشْتَرَى لَنَا رَأْسًا, وَجَاءَتْ بِهِ فَأَكَلْنَا, فَقَالَ لِي يَا حُسْنُ, مَا أَمْلِكُ غَيْرَ هَذَا الدِّرْهَمِ .

وَدَخَلَ يَوْمًا فَقَالَ لِي أُرِيدُ أَنْ أَحْتَجِمَ الْيَوْمَ وَلَيْسَ مَعِي شَيْءٌ, فَجِئْتُ بِجَرَّةٍ لِي فِيهَا غَزْلٌ, فَبِعْتُهُ بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ, فَاشْتَرَيْتُ لَحْمًا بِنِصْفِ دِرْهَمٍ, وَأَعْطَيْتُ الْحَجَّامَ دِرْهَمًا, وَاشْتَرَيْتُ طِيبًا بِدِرْهَمٍ .

وَلَمَّا خَرَجَ إِلَيَّ "سُرَّ مَنْ رَأَى" كُنْتُ قَدْ غَزَلْتُ غَزْلًا لَيِّنًا, وَعَمِلْتُ ثَوْبًا حَسَنًا, فَلَمَّا قَدِمَ أَخْرَجْتُهُ إِلَيْهِ, قَالَ مَا أُرِيدُهُ فَدَفَعْتُهُ إِلَى فَوْرَانَ, فَبَاعَهُ بِاثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ دِرْهَمًا, وَاشْتَرَيْتُ مِنْهُ قُطْنًا فَغَزَلْتُهُ ثَوْبًا كَبِيرًا, فَلَمَّا أَعْلَمْتُهُ قَالَ "لَا تَقْطَعِيهِ, دَعِيهِ, فَكَانَ كَفَنَهُ كُفِّنَ فِيهِ, وَأَخْرَجْتُ الْغَلِيظَ فَقَطَعَهُ" .

إِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ الصَّالِحَةَ الطَّيِّبَةَ أَعَادَتْ لَنَا ذِكْرَ الصَّالِحَاتِ الْقَانِتَاتِ الْعَابِدَاتِ مِنْ زَوْجَاتِ الرَّسُولِ ﷺ وَزَوْجَاتِ أَصْحَابِهِ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- .

إِنَّ الْمَرْأَةَ الْمُطِيعَةَ لِزَوْجِهَا, الْعَارِفَةَ بِأَوَامِرِ رَبِّهَا, الْقَانِتَةَ الْعَابِدَةَ, هِيَ إِحْدَى الْحَسَنَتَيْنِ اللَّتَيْنِ يَطْلُبُهُمَا الْمُسْلِمُ مِنْ رَبِّهِ صَبَاحَ مَسَاءَ كَمَا يَرَى بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾[1]

رِسَالَةُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ يُبَيِّنُ لَهُ حَقِيقَةَ رَأْيِهِ فِي مَسْأَلَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ كَتَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى إِلَى أَبِي يَقُولُ لَهُ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَنِي أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكَ أَسْأَلُكَ عَنْ أَمْرِ الْقُرْآنِ, لَا مَسْأَلَةَ امْتِحَانٍ, وَلَكِنْ مَسْأَلَةَ مَعْرِفَةٍ وَتَبْصِرَةٍ, فَأَمْلَى عَلَيَّ أَبِي -رَحِمَهُ اللَّهُ- إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى .

---

١ -سورة البقرة آية : ٢٠١ .

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, أَحْسَنَ اللَّهُ عَاقِبَتَكَ -أَبَا الْحَسَنِ- فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا, وَدَفَعَ عَنْكَ مَكَارِهَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِرَحْمَتِهِ, وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَيْكَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ- بِالَّذِي سَأَلَ عَنْهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَمْرِ الْقُرْآنِ بِمَا حَضَرَنِي, وَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُدِيمَ تَوْفِيقَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ, فَقَدْ كَانَ النَّاسُ فِي خَوْضٍ مِنَ الْبَاطِلِ وَاخْتِلَافٍ شَدِيدٍ يَنْغَمِسُونَ فِيهِ, حَتَّى أَفْضَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ, فَنَفَى اللَّهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كُلَّ بِدْعَةٍ, وَانْجَلَى عَنْ النَّاسِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ الذُّلِّ وَضِيقِ الْمَحَابِسِ, فَصَرَفَ اللَّهُ ذَلِكَ كُلَّهُ, وَذَهَبَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ, وَوَقَعَ ذَلِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَوْقِعًا عَظِيمًا, وَدَعَوُا اللَّهَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَزِيدَ فِي نِيَّتِهِ, وَأَنْ يُعِينَهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ .

فَقَدْ ذُكِرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ [1] أَنَّهُ قَالَ لَا تَضْرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ; فَإِنَّ ذَلِكَ يُوقِعُ الشَّكَّ فِي قُلُوبِكُمْ .

١ - عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وُلد قبل الهجرة بثلاث سنين، ومات سنة ٦٨هـ في أيام ابن يزيد.

وَذُكِرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو [1] ﴿ أَنَّ نَفَرًا كَانُوا جُلُوسًا بِبَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ بَعْضُهُمْ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ كَذَا وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ كَذَا فَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجَ كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ فَقَالَ بِهَذَا أُمِرْتُمْ؟ أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ؟ إِنَّمَا ضَلَّتْ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ فِي مِثْلِ هَذَا, إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِمَّا هَاهُنَا فِي شَيْءٍ, اُنْظُرُوا الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ فَاعْمَلُوا بِهِ, وَانْظُرُوا الَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ, فَانْتَهَوْا عَنْهُ ﴾ .

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿ مِرَاءٌ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ ﴾ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَجُلٌ, فَجَعَلَ عُمَرُ يَسْأَلُهُ عَنِ النَّاسِ, فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ, قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ مِنْهُمْ كَذَا كَذَا فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ يَتَسَارَعُوا يَوْمَهُمْ هَذَا فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْمُسَارَعَةَ قَالَ فَزَبَرَنِي عُمَرُ, وَقَالَ: مَهْ .

فَانْطَلَقْتُ إِلَى مَنْزِلِي مُكْتَئِبًا حَزِينًا, فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ أَتَانِي رَجُلٌ, فَقَالَ أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ, فَخَرَجْتُ فَإِذَا هُوَ بِالْبَابِ يَنْتَظِرُنِي, فَأَخَذَ بِيَدِي فَخَلَا بِي, فَقَالَ مَا الَّذِي كَرِهْتَ .

قُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ, مَتَى يَتَسَارَعُوا هَذِهِ الْمُسَارَعَةَ يُحْتَقُوا [2] وَمَتَى مَا يُحْتَقُوا يَخْتَصِمُوا, وَمَتَى مَا يَخْتَصِمُوا يَخْتَلِفُوا, وَمَتَى مَا يَخْتَلِفُوا يَقْتَتِلُوا .

قَالَ لِلَّهِ أَبُوكَ, وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَكْتُمُهَا النَّاسَ, حَتَّى جِئْتَ بِهَا .

وَرُوِيَ عَنْ جَابِرٍ [3] قَالَ: ﴿ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ بِالْمَوْقِفِ, فَيَقُولُ هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ; فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي ﴾ .

وَرُوِيَ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ [4] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ إِنَّكُمْ لَنْ تَرْجِعُوا إِلَيَّ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ ﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ .

---

١ -عبد الله بن عمرو بن العاص يُكَنَّى أبا محمد، أسلم قبل أبيه، واعتزل معركة صفين، ومات سنة ٦٣هـ في ولاية يزيد بن معاوية .

٢ -يحتقوا: يقول كل منهم: الحق في يدي ومعي .

٣ – جابر بن عبد الله بن حرام، شهد مع الرسول تسع عشرة غزوة، وكف بصره في آخر عمره.

٤ -جبير بن نفير: معدود في كبار تابعي أهل الشام، ولأبيه نفير صحبة ورواية .

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ [1] أَنَّهُ قَالَ "جَرِّدُوا الْقُرْآنَ, وَلَا تَكْتُبُوا فِيهِ شَيْئًا إِلَّا كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" .

وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ, فَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ" .

وَقَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ يَا أَبَا سَعِيدٍ, إِنِّي إِذَا قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ وَتَدَبَّرْتُهُ كِدْتُ آيَسُ, وَيَنْقَطِعُ رَجَائِي, فَقَالَ "إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ, وَأَعْمَالُ ابْنِ آدَمَ إِلَى الضَّعْفِ وَالتَّقْصِيرِ, فَاعْمَلْ وَأَبْشِرْ" .

وَقَالَ فَرْوَةُ بْنُ نَوْفَلٍ الأَشْجَعِيُّ [2] كُنْتُ جَارًا لِخَبَّابٍ [3] وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَخَرَجْتُ مَعَهُ يَوْمًا مِنَ الْمَسْجِدِ, وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِي فَقَالَ يَا هَنَاهْ, تَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ بِمَا اسْتَطَعْتَ, فَإِنَّكَ مَا تَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِلْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ مَا حَمَلَ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ عَلَى هَذَا؟ .

قَالَ الْخُصُومَاتُ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ –وَكَانَ أَبُوهُ مَنْ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ "إِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الْخُصُومَاتِ; فَإِنَّهَا تُحْبِطُ الْأَعْمَالَ"

.

وَقَالَ أَبُو قِلَابَةَ –وَكَانَ قَدْ أَدْرَكَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ أَوْ قَالَ أَصْحَابَ الْخُصُومَاتِ قَالَ لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ, وَيُلَبِّسُوا عَلَيْكُمْ بَعْضَ مَا يَعْرِفُونَ .

وَدَخَلَ رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ فَقَالَا يَا أَبَا بَكْرٍ نُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ .

قَالَ لَا .

قَالَا فَنَقْرَأُ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ .

---

١ -عبد الله بن مسعود بن غافل، قصة إسلامه والشاة التي قدمها لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- مشهورة، مات -رحمه الله- بالمدينة سنة ٣٢هـ، ودفن بالبقيع، وصلى عليه عثمان -رضي الله عنهما .

٢ – فروة بن نوفل الأشجعي، من الخوارج، خرج على المغيرة بن شعبة في صدر خلافة معاوية مع المستورد، فبعث إليهم المغيرة خيلا فقتلوه سنة ٤٥هـ، روي عن أبيه وعن عائشة.

٣ -خباب بن الأرت، اختلف في نسبة فقيل: هو خزاعي، وقيل: هو تميمي، كان يعمل السيوف في الجاهلية، شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، نزل الكوفة ومات بها سنة ٣٧ .

قَالَ لَا, لَتَقُومَانِ عَنِّي أَوْ لَأَقُومَنَّ فَقَامَا .

فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ وَمَا عَلَيْك أَنْ يَقْرَآ عَلَيْكَ آيَةً .

قَالَ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْرَآ عَلَيَّ آيَةً فَيُحَرِّفَاهَا, فَيَقِرَّ ذَلِكَ فِي قَلْبِي, وَلَوْ أَعْلَمُ أَنِّي أَكُونُ مِثْلِي السَّاعَةَ لَتَرَكْتُهُمَا .

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ لِأَيُّوبَ السِّخْتِيَانِيِّ يَا أَبَا بَكْرٍ, أَسْأَلُك عَنْ كَلِمَةٍ؟ فَوَلَّى وَهُوَ يَقُولُ وَلَا نِصْفِ كَلِمَةٍ .

وَقَالَ ابْنُ طَاوُسٍ لِابْنٍ لَهُ كَلَّمَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ يَا بُنَيَّ, أَدْخِلْ أُصْبُعَيْكَ فِي أُذُنَيْكَ حَتَّى لَا تَسْمَعَ مَا يَقُولُ ثُمَّ قَالَ اشْدُدْ اشْدُدْ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ مِنْ التَّنَقُّلِ .

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ إنَّ الْقَوْمَ لَمْ يُدَّخَرْ عَنْهُمْ شَيْءٌ خُبِّئَ لَكُمْ لِفَضْلٍ عِنْدَكُمْ .

وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ شَرُّ دَاءٍ خَالَطَ قَلْبِي يَعْنِي الْأَهْوَاءَ .

وَقَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ [1] اتَّقُوا اللَّهَ, وَخُذُوا طَرِيقَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ, وَاللَّهِ لَئِنْ اسْتَقَمْتُمْ لَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا, وَلَئِنْ تَرَكْتُمُوهُ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا أَوْ قَالَ مُبِينًا .

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [2] .

وَقَالَ: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ ﴾ [3] فَأَخْبَرَ بِالْخَلْقِ, ثُمَّ قَالَ "وَالْأَمْرُ" فَأَخْبَرَ أَنَّ الْأَمْرَ غَيْرُ الْخَلْقِ .

---

١ – حُذَيفة بن اليَمَان، يُكنَّى أبا عبد الله ، من كبار الصحابة، وصاحب سر رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، مات سنة ٣٦هـ بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

٢ –سورة التوبة آية : ٦ .

٣ – سورة الأعراف آية : ٥٤.

وَقَالَ ﷻ ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾ [1] فَأَخْبَرَ أَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِلْمِهِ .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ۝١٢٠ ﴾ [2] .

وَقَالَ: ﴿ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِۙ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٤٥ ﴾ [3] .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ۝٣٧ ﴾ [4] (سُورَةُ الرَّعْدِ، آية رقم ٣٧). .

فَالْقُرْآنُ عِلْمُ اللَّهِ .

وَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الَّذِي جَاءَهُ هُوَ الْقُرْآنُ, لِقَوْلِهِ: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِۙ ﴾ [5] .

---

١ -سورة الرحمن آية : ٢ .

٢ – سورة البقرة آية : ١٢٠.

٣ -سورة البقرة آية : ١٤٥ .

٤ – سُورَةُ الرَّعْدِ آية : ٣٧.

٥ -سورة البقرة آية : ١٢٠ .

وَلَقَدْ رُوِيَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِمَّنْ مَضَى مِنْ سَلَفِنَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ, وَهُوَ الَّذِي أَذْهَبُ إِلَيْهِ .

لَسْتُ بِصَاحِبِ كَلَامٍ, وَلَا أَرَى الْكَلَامَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا, إِلَّا مَا كَانَ فِي كِتَابِ اللَّهِ, أَوْ فِي حَدِيثٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ عَنْ أَصْحَابِهِ, أَوْ عَنِ التَّابِعِينَ, فَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ فَإِنَّ الْكَلَامَ فِيهِ غَيْرُ مَحْمُودٍ .

وَقَدْ قَالَ الذَّهَبِيُّ: [1] بَعْدَ نَقْلِ الرِّسَالَةِ قُلْتُ رُوَاةُ هَذِهِ الرِّسَالَةِ عَنْ أَحْمَدَ أَئِمَّةٌ أَثْبَاتٌ؛ أَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّهُ أَمْلَاهَا عَلَى وَلَدِهِ, وَأَمَّا غَيْرُهَا مِنْ الرَّسَائِلِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَيْهِ فَفِيهَا نَظَرٌ [2] .

كِتَابُ "الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ وَالزَّنَادِقَةِ" وَنِسْبَتُهُ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ

شَكَّكَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي نِسْبَةِ كِتَابِ "الرَّدِّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ" لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ, وَحُجَّتُهُمْ فِي ذَلِكَ مَا يَرْوِيهِ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي حَامِدٍ بِقَوْلِهِ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ يَقُولُ " قُلْتُ لِأَبِي لِمَ كَرِهْتَ وَضْعَ الْكُتُبِ وَقَدْ عَمِلْتَ الْمُسْنَدَ .

فَقَالَ عَمِلْتُ هَذَا الْكِتَابَ لِيَكُونَ إِمَامًا إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي سُنَّةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجَعُوا إِلَيْهِ" [3] .

لِهَذَا يَقُولُونَ إِنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ لَمْ يَسْطُرْ غَيْرَ كِتَابِ الْمُسْنَدِ .

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ سَطَّرَ الْعَدِيدَ مِنَ الْكُتُبِ وَالْمُؤَلَّفَاتِ الَّتِي تَدَاوَلَهَا الْمُسْلِمُونَ, وَتَقَبَّلُوهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ; لِأَنَّهَا ثَبَتَتْ نِسْبَتُهَا إِلَيْهِ بِأَدِلَّةٍ قَاطِعَةٍ لَا تَقْبَلُ التَّشْكِيكَ أَوِ التَّأْوِيلَ .

---

١ – الذهبي: اسمه شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد التُرْكُمَانِيّ، المعروف بالذهبي، ولد بدمشق سنة ٦٧٣هـ، ومات سنة ٧٤٨هـ. رحمه الله.

٢ -ذكرت هذه الرسالة في تاريخ الذهبي، وذكرت أيضًا في "حلية الأولياء" جـ ٩: ص ٢١٦ – ٢١٩، ورواها ابن الجوزي في المناقب ص ٣٧٧، وذكرها الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه "ابن حنبل، حياته وعصره" ص ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧ .

٣ – راجع مقدمة "المسند" تحقيق أحمد شاكر.

وَالْكِتَابُ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا يَرْتَبِطُ ارْتِبَاطًا كَبِيرًا بِالْمِحْنَةِ الَّتِي عَاشَهَا الْإِمَامُ وَعَاشَتْهَا الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ مَعَهُ وَهُوَ كِتَابٌ يَرُدُّ فِيهِ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الَّذِينَ كَانُوا يَقُولُونَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ, وَيُجَادِلُونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ, وَيُشَكِّكُونَ فِي أَفْعَالِ الْعِبَادِ .

وَفِي الْكِتَابِ أَيْضًا رَدٌّ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْآرَاءِ الَّتِي كَادَتْ تَعْصِفُ بِالْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي فَتْرَةٍ مِنْ أَحْلَكِ فَتَرَاتِ حَيَاتِهَا .

وَيَطِيبُ لَنَا أَنْ نَضَعَ بَيْنَ يَدَيِ الْقَارِئِ الْمُنْصِفِ بَعْضَ الْأَدِلَّةِ الَّتِي تُثْبِتُ نِسْبَةَ "كِتَابِ الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ وَالزَّنَادِقَةِ" لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ .

يَقُولُ أَبُو بَكْرٍ الْخَلَّالُ -جَامِعُ فِقْهِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَنُصُوصِهِ- "كَتَبْتُ هَذَا الْكِتَابَ مِنْ خَطِّ عَبْدِ اللَّهِ, وَكَتَبَهُ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ خَطِّ أَبِيهِ" [1] .

وَمَا دَامَ أَبُو بَكْرٍ الْخَلَّالُ قَالَ هَذَا الْكَلَامَ فَلَا مَجَالَ لِطَاعِنٍ أَوْ مُتَشَكِّكٍ; لِأَنَّهُ حُجَّةٌ ثِقَةٌ, وَلَا يُتَّهَمُ بِالتَّحَيُّزِ أَوْ الْهَوَى .

يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ عَنْ الْخَلَّالِ "قَدْ قَيَّضَ اللَّهُ ذَلِكَ الرَّجُلَ لِحِفْظِ مَذْهَبِ ذَلِكَ الْإِمَامِ الْأَثَرِيِّ الْكَبِيرِ" .

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِيهِ أَيْضًا صَرَفَ عِنَايَتَهُ إِلَى جَمْعِ عُلُومِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ, وَسَافَرَ لِأَجْلِهَا, وَكَتَبَهَا عَالِيَةً نَازِلَةً, وَصَنَّفَهَا كُتُبًا" .

وَمَعْنَى أَنَّهُ كَتَبَهَا عَالِيَةً نَازِلَةً أَنَّهُ رَوَى بَعْضَهَا عَنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ, وَبَعْضَهَا عَمَّنْ رَوَى عَنْهُمْ .

وَالْقَاضِي أَبُو يَعْلَى فِي كِتَابِهِ الْمَشْهُورِ بِـ"إِبْطَالِ التَّأْوِيلِ" احْتَجَّ بِبَعْضِ نُقُولٍ مِنْ كِتَابِ "الرَّدِّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ", وَنَسَبَهَا إِلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ .

وَإِذَا تَرَكْنَا هَذَيْنِ الْعَالِمَيْنِ الْجَلِيلَيْنِ أَبَا بَكْرٍ الْخَلَّالَ ، وَالْقَاضِيَ أَبَا يَعْلَى وَاتَّجَهْنَا إِلَى كِتَابِ "الْمَنْهَجِ الْأَحْمَدِ فِي تَرَاجِمِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ " نَجِدُ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ قَدْ ذَكَرَ كِتَابَ "الرَّدِّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ والْجَهْمِيَّةِ" وَنَسَبَهُ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ .

---

١ " -اجتماع الجيوش الإسلامية" لابن قيم الجوزية .

وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ السَّفَارِينِيُّ الْأَثَرِيُّ الْحَنْبَلِيُّ (١١١٤ - ١١١٨هـ) لَخَّصَ فِي كِتَابِهِ "لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ, وَسَوَاطِعُ الْأَسْرَارِ الْأَثَرِيَّةِ لِشَرْحِ الدُّرَّةِ الْمُضِيئَةِ فِي عِقْدِ الْفِرْقَةِ الْمَرْضِيَّةِ" مَا كَتَبَهُ فِي ذَلِكَ ابْنُ الْقَيِّمِ وَأَثْبَتَ أَنَّ الْكِتَابَ مِنْ مُؤَلَّفَاتِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ .

وَيَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي كِتَابِهِ "اجْتِمَاعُ الْجُيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ" فَإِنْ قِيلَ هَذَا الْكِتَابُ يَرْوِيهِ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ غُلَامُ الْخَلَّالِ, عَنِ الْخَلَّالِ, عَنِ الْخَضِرِ بْنِ الْمُثَنَّى, عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ عَنْ أَبِيهِ, وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ أَئِمَّةٌ مَعْرُوفُونَ, إِلَّا الْخَضِرَ بْنَ الْمُثَنَّى; فَإِنَّهُ مَجْهُولٌ, فَكَيْفَ تُثْبِتُونَ هَذَا الْكِتَابَ عَنْ أَحْمَدَ بِرِوَايَةِ مَجْهُولَةٍ .

فَالْجَوَابُ مِنْ وُجُوهٍ :

أَحَدُهَا: أَنَّ الْخَضِرَ هَذَا قَدْ عَرَفَهُ الْخَلَّالُ, وَرَوَى عَنْهُ كَمَا رَوَى كَلَامَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَصْحَابِهِ وَأَصْحَابِ أَصْحَابِهِ, وَلَا يَضُرُّ جَهَالَةُ غَيْرِهِ لَهُ .

الثَّانِي: أَنَّ الْخَلَّالَ قَدْ قَالَ كَتَبْتُهُ مِنْ خَطِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ, وَكَتَبَهُ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ خَطِّ أَبِيهِ, وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْخَلَّالَ إِنَّمَا رَوَاهُ عَنِ الْخَضِرِ; لِأَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِلَ السَّنَدِ عَلَى طَرِيقِ أَهْلِ النَّقْلِ, وَقَدْ رَوَى الْخَلَّالُ عَنْهُ غَيْرَ هَذَا مَعَهُ فِي جَامِعِهِ, فَقَالَ فِي كِتَابِ "الْأَدَبِ مِنَ الْجَامِعِ" دَفَعَ إِلَيَّ الْخَضِرُ بْنُ الْمُثَنَّى بِخَطِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ, وَأَجَازَ لِي أَنْ أَرْوِيَهُ عَنْهُ .

قَالَ الْخَضِرُ حَدَّثَنَا مُهَنَّا, قَالَ سَأَلْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ عَنِ الرَّجُلِ يَبْزُقُ عَنْ يَمِينِهِ فِي الصَّلَاةِ وَفِي غَيْرِ الصَّلَاةِ .

فَقُلْتُ لَهُ لِمَ يُكْرَهُ أَنْ يَبْزُقَ الرَّجُلُ عَنْ يَمِينِهِ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ .

قَالَ أَلَيْسَ عَنْ يَمِينِهِ الْمَلَكُ؟ فَقُلْتُ وَعَنْ يَسَارِهِ أَيْضًا مَلَكٌ .

فَقَالَ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ, وَالَّذِي عَنْ يَسَارِهِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْكِتَابِ مَا ذَكَرَهُ الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْقَاضِي أَبِي يَعْلَى فَقَالَ قَرَأْتُ فِي كِتَابِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ, قَالَ قَرَأْتُ عَلَى أَبِي صَالِحِ بْنِ أَحْمَدَ

هَذَا الْكِتَابَ, فَقَالَ هَذَا كِتَابٌ عَمِلَهُ أَبِي فِي مَجْلِسِهِ رَدًّا عَلَى مَنِ احْتَجَّ بِظَاهِرِ الْقُرْآنِ وَتَرَكَ مَا فَسَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا يَلْزَمُ اتِّبَاعُهُ" [1] .

وَيَقُولُ ابْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ كِتَابِهِ "اجْتِمَاعُ الْجُيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ" "ذَكَرَ هَذَا الْكِتَابَ كُلَّهُ أَبُو بَكْرٍ الْخَلَّالُ فِي كِتَابِ "السُّنَّةِ" الَّذِي جَمَعَ فِيهِ نُصُوصَ أَحْمَدَ وَكَلَامَهُ, وَعَلَى مِنْوَالِهِ جَمَعَ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ "جَامِعُ النُّصُوصِ مِنْ كَلَامِ الشَّافِعِيِّ وَهُمَا كِتَابَانِ جَلِيلَانِ, لَا يَسْتَغْنِي عَنْهُمَا عَالِمٌ .

وَخُطْبَةُ كِتَابِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي كُلِّ زَمَانٍ فَتْرَةً مِنَ الرُّسُلِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إِلَى الْهُدَى, وَيَصْبِرُونَ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى, يُحْيُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ الْمَوْتَى, وَيُبَصِّرُونَ بِنُورِ اللَّهِ -تَعَالَى- أَهْلَ الْعَمَى, فَكَمْ قَتِيلٍ لِإِبْلِيسَ قَدْ أَحْيَوْهُ, وَكَمْ مِنْ ضَالٍّ تَائِهٍ قَدْ هَدَوْهُ, فَمَا أَحْسَنَ أَثَرَهُمْ فِي النَّاسِ, وَمَا أَقْبَحَ أَثَرَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ, يَنْفُونَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ -تَعَالَى- تَحْرِيفَ الْغَالِينَ, وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ, وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ, الَّذِينَ عَقَدُوا أَلْوِيَةَ الْبِدَعِ, وَأَطْلَقُوا عَنَانَ الْفِتْنَةِ, فَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الْكِتَابِ, مُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ, مُجْمِعُونَ عَلَى مُخَالَفَةِ الْكِتَابِ, يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى, وَفِي اللَّهِ تَعَالَى, وَفِي كِتَابِ اللَّهِ -تَعَالَى- بِغَيْرِ عِلْمٍ, يَتَكَلَّمُونَ بِالْمُتَشَابِهِ مِنَ الْكَلَامِ, وَيَخْدَعُونَ الْجُهَّالَ بِمَا يُشَبِّهُونَ عَلَيْهِمْ, فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتَنِ الضَّالِّينَ .

ثُمَّ قَالَ بَابُ بَيَانِ مَا ضَلَّتْ فِيهِ الْجَهْمِيَّةُ والزَّنَادِقَةُ مِنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ" .

وَلَا يَكْتَفِي ابْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ بِذَلِكَ, بَلْ يَنْقُلُ الْكَثِيرَ مِنْ صَفَحَاتِ الْكِتَابِ لِلِاسْتِدْلَالِ وَالِاسْتِشْهَادِ .

فَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقْتَرِبَ مِنَ الْعَصْرِ الَّذِي عَاشَ فِيهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ, وَتَنَاوَلْنَا أَحَدَ الْمَرَاجِعِ -وَهُوَ كِتَابُ "الْفِهْرِسْتِ", وَالَّذِي يَعْتَبِرُهُ الْمُسْتَشْرِقُ الْإِيطَالِيُّ "نللينو" عُمْدَةً فِي التَّرَاجِمِ, وَأَصْلًا مِنْ أُصُولِ التَّأْلِيفِ- نَرَاهُ يُذَكِّرُ بِالْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ, وَيُعَدِّدُ مُؤَلَّفَاتِهِ كَالنَّحْوِ الْآتِي :

(١) كِتَابُ "الْعِلَلِ" .

١ - "اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة و الجهمية" لابن قيم الجوزية ص ١٠٠.

(٢) كِتَابُ "التَّفْسِيرِ" .

(٣) كِتَابُ "النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ" .

(٤) كِتَابُ "الزُّهْدِ" .

(٥) كِتَابُ "الْمَسَائِلِ" .

(٦) كِتَابُ "الْفَضَائِلِ" .

(٧) كِتَابُ "الْفَرَائِضِ" .

(٨) كِتَابُ "الْمَنَاسِكِ" .

(٩) كِتَابُ "الْإِيمَانِ" .

(١٠) كِتَابُ "طَاعَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" .

(١١) كِتَابُ "الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ" .

(١٢) كِتَابُ "الْمُسْنَدِ" .

وَنَعْتَقِدُ أَنَّ الْمَسَافَةَ الزَّمَنِيَّةَ بَيْنَ عَصْرِ تَأْلِيفِ هَذِهِ الْمَوْسُوعَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَبَيْنَ الْعَصْرِ الَّذِي عَاشَ فِيهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَرِيبَةٌ جِدًّا, وَلَوْ كَانَ مَا ذَكَرَهُ "الْفِهْرِسْتُ" مُخَالِفًا لِلْوَاقِعِ لَا نُبَرِّئُ الْكَثِيرَ مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ لِلرَّدِّ عَلَيْهِ, وَمُطَالَبَتِهِ بِتَصْحِيحِ مَا ادَّعَاهُ عَلَى إِمَامِهِمْ, وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَحْدُثْ, مِمَّا يَدُلُّ عَلَى نِسْبَةِ الْكِتَابِ إِلَيْهِ .

وَيَذْكُرُ الشَّيْخُ أَحْمَد مُحَمَّد شَاكِر فِي مُقَدِّمَةِ الْمُسْنَدِ مَا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ, فَيَقُولُ "قَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ مَخْلُوقَةٌ فَقَدْ كَفَرَ" .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي كِتَابِ "الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ" سَأَلْتُ أَبِي عَنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ لَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى لَمْ يَتَكَلَّمْ بِصَوْتٍ .

فَقَالَ أَبِي بَلَى, تَكَلَّمَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- بِصَوْتٍ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ, نَرْوِيهَا كَمَا جَاءَتْ .

وَقَالَ أَبِي حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ ﴿ إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ سُمِعَ لَهُ صَوْتٌ كَمَدِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفْوَانِ ﴾ .

قَالَ "وَهَذِهِ الْجَهْمِيَّةُ تُنْكِرُهُ, وَهَؤُلَاءِ كُفَّارٌ, يُرِيدُونَ أَنْ يُمَوِّهُوا عَلَى النَّاسِ ثُمَّ قَالَ حَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ, عَنْ الْأَعْمَشِ, عَنْ مُسْلِمٍ, عَنْ مَسْرُوقٍ, عَنْ عَبْدِ اللَّهِ, قَالَ إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ, فَيَخِرُّونَ سُجَّدًا .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَجَدْتُ بِخَطِّ أَبِي مِمَّا يَحْتَجُّ بِهِ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن ﴾ [1] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [2] ﴿ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ﴾ [3] ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [4] [5] إِلَخْ .

وَنَعْتَقِدُ أَنَّ فِيمَا سُقْنَاهُ مِنَ الْأَدِلَّةِ كَفَايَةٍ لِإِثْبَاتِ نِسْبَةِ الْكِتَابِ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ, وَنَخْتِمُ حَدِيثَنَا بِمَا ذَكَرَهُ أَحَدُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ -وَهُوَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ أَبُو زَهْرَةَ- عِنْدَ تَأْرِيخِهِ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ, قَالَ وَكُتُبُهُ الَّتِي كَتَبَهَا, وَكُلُّهَا فِي الْحَدِيثِ فِي الْجُمْلَةِ هِيَ "الْمُسْنَدُ", و"التَّارِيخُ", و"النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ", و"الْمُقَدَّمُ وَالْمُؤَخَّرُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى", و"فَضَائِلُ الصَّحَابَةِ", و"النَّاسِكُ الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ", وَكِتَابُ "الزُّهْدِ" ، وَلَهُ رَسَائِلُ تُبَيِّنُ مَذْهَبَهُ فِي الْقُرْآنِ, وَالرَّدُّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ, وَالرَّدُّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ, وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَيْهَا, وَنَقَلْنَا مِنْ بَعْضِهَا عِنْدَ الْكَلَامِ فِي حَيَاتِهِ, وَآرَائِهِ فِي الْعَقِيدَةِ, وَمَا كَانَ يُثَارُ فِي عَصْرِهِ [6] .

---

١ -سورة يس آية : ٨٢ .

٢ - سورة آل عمران آية : ٤٥.

٣ -سورة النساء آية : ١٧١ .

٤ - سورة الأنعام آية : ١١٥.

٥ " -المسند" للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق أحمد محمد شاكر، المقدمة جـ١، ص ٨٠ .

٦ - "ابن حنبل، حياته وعصره، آراؤه وفقهه": محمد أبو زهرة ص ١٦٨.

التَّعْرِيفُ بِالْكِتَابِ

"الرَّدُّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ وَالزَّنَادِقَةِ" كَانَ أَحَدَ الْمَعَالِمِ الرَّئِيسِيَّةِ لِلسَّلَفِ الصَّالِحِ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهِجْرِيِّ وَبَعْضِ الرَّابِعِ, لَقَدْ وَقَفُوا أَمَامَ الْغَزْوِ الْفِكْرِيِّ الَّذِي جَاءَهُمْ مِنْ خَارِجِ بِلَادِهِمْ وَقْفَةً صُلْبَةً قَوِيَّةً أَفْحَمُوا أَصْحَابَهُ, وَشَتَّتُوا شَمْلَهُمْ, وَأَعَادُوا الْخَارِجِينَ مِنْ رِحَابِ الْإِسْلَامِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ مَرَّةً أُخْرَى .

حَتَّى قَالَ ابْنُ خُلْدُونٍ فِي مُقَدِّمَتِهِ "عِلْمُ الْكَلَامِ غَيْرُ ضَرُورِيٍّ لِهَذَا الْعَهْدِ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ, إِذِ الْمَلَاحِدَةُ وَالْمُبْتَدِعَةُ قَدِ انْقَرَضُوا, وَالْأَئِمَّةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ كَفَوْنَا شَأْنَهُمْ فِيمَا كَتَبُوا وَدَوَّنُوا" [1] .

وَيَذْكُرُ الْإِمَامُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ "الْفَتْوَى الْحَمَوِيَّةُ الْكُبْرَى" أَنَّ إِحْصَاءَ كُتُبِ الْعُلَمَاءِ وَمُصَنَّفَاتِهِمْ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُبْتَدِعَةِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ تَطَلَّبَ جُهْدًا وَوَقْتًا كَبِيرًا, وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدَ قَدَّمَ فِي كِتَابِهِ الْمَذْكُورِ مَجْمُوعَةً مِنْ هَذِهِ الْمُصَنَّفَاتِ فَقَالَ :

"وَكَلَامُ السَّلَفِ فِي هَذَا الْبَابِ مَوْجُودٌ فِي كُتُبٍ كَثِيرَةٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ نَذْكُرَ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُ, مِثْلَ كِتَابِ "السُّنَنِ" لِلَّالْكَائِيِّ, وَ"الْإِبَانَةِ" لِابْنِ بَطَّةَ, وَ"الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ" لِجَمَاعَةٍ, مِثْلَ الْبُخَارِيِّ, وَشَيْخِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجُعْفِيِّ, وَقَبْلَ ذَلِكَ "السُّنَّةُ" لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ, و"السُّنَّةُ" لِأَبِي بَكْرِ بْنِ الْأَثْرَمِ, وَ"السُّنَّةُ" لِحَنْبَلٍ, وَ"السُّنَّةُ" لِأَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي عَاصِمٍ, وَكِتَابُ "خَلْقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ" لِلْبُخَارِيِّ, وَكِتَابُ "الرَّدُّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ" لِعُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ الدَّارِمِيِّ, وَغَيْرِهِمْ .

وَكَلَامُ نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ الْخُزَاعِيِّ, وَكَلَامُ غَيْرِهِمْ, وَكَلَامُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ, وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهْوَيْهِ, وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ, وَيَحْيَى بْنِ يَحْيَى النَّيْسَابُورِيِّ وَأَمْثَالِهِمْ" [2] .

وَكِتَابُ "الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ وَالزَّنَادِقَةِ" لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ أَحَدُ الصَّوَاعِقِ الْمُرْسَلَةِ الَّتِي أَرْسَلَهَا إِمَامُنَا عَلَى هَؤُلَاءِ الضَّالِّينَ, فَفَرَّقَ شَمْلَهُمْ, وَأَبْطَلَ كَيْدَهُمْ, وَقَدْ قَسَّمَهُ إِمَامُنَا قِسْمَيْنِ: الْأَوَّلُ: خَاصٌّ بِالرَّدِّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مُتَنَاقِضٌ, وَالثَّانِي: خَصَّصَهُ عَلَى الرَّدِّ عَلَى مَنْ قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ .

---

١ -مقدمة ابن خلدون ص ٤٦٧ .

٢ – "نفائس" للإمام ابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي، ص ١٠١.

وَقَدْ نَشَرَهُ نَاقِصًا, وَقَدَّمَ لَهُ الْأُسْتَاذُ مُحَمَّدُ فِهْرِ شقفه (مَنْشُورَاتِ ابْنِ الْهَيْثَمِ), وَنَشَرَهُ مَرَّةً أُخْرَى ضِمْنَ مَجْمُوعَةِ الدُّكْتُورِ عَلِي سَامِي النَّشَّار, وَعَمَّار جَمْعِي الطَّالِبِي, مَكْتَبَةُ الْمَعَارِفِ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ .

وَحَيْثُ إِنَّ الْكِتَابَ لَمْ يَظْهَرْ بِالصُّورَةِ الْكَامِلَةِ فِي الْمَرَّتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ, الَّتِي تُرْضِي الْبَاحِثِينَ وَطُلَّابَ الْمَعْرِفَةِ, فَقَدْ عَقَدْنَا الْعَزْمَ عَلَى إِخْرَاجِهِ, وَبَذَلْنَا فِيهِ مِنَ الْجَهْدِ مَا يَلِيقُ بِمَادَّتِهِ, وَيُرْضِي الْمُهْتَمِّينَ بِالْإِمَامِ أَحْمَدَ وَتُرَاثِهِ وَفِكْرِهِ, وَلَقَدْ كَانَ دَلِيلُنَا فِي ذَلِكَ مَا يَأْتِي :

١- مَخْطُوطَةٌ مُصَوَّرَةٌ بِمَعْهَدِ إِحْيَاءِ الْمَخْطُوطَاتِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ تَحْتَ عُنْوَانِ "الرَّدُّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ والْجَهْمِيَّةِ فِيمَا شَكَّتْ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ" .

نُسْخَةٌ كُتِبَتْ سَنَةَ ١٠٨٤، بِخَطِّ نَسْخٍ روان كشك ٥١٠-٥، بِهَا ١١ق ١٧×١٩ سم "تَوْحِيدٌ وَمِلَلٌ وَنِحَلٌ" .

٢- مَخْطُوطَةٌ بِمَكْتَبَةِ الرِّيَاضِ, الْكَائِنَةِ بِمَيْدَانِ دُخْنَةَ بِالرِّيَاضِ, ضِمْنَ مَجْمُوعَةٍ تَحْمِلُ رَقْمَ ٦٨٦ /٨٦ تَبْدَأُ مِنْ رَقْمِ ٩٠ دَاخِلَ الْمَجْمُوعَةِ, وَلَيْسَ بِهَا تَارِيخٌ, وَأَغْفَلَ النَّاسِخُ وَضْعَ اسْمِهِ عَلَيْهَا, وَمِسْطَرَتُهَا ١٤×١٩.

وَلَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ الْبَاحِثِينَ وَالْمُحَقِّقِينَ أَنْ يُقَدِّمُوا لِلْقُرَّاءِ صُورَةً عَنِ الْعَمَلِ الَّذِي قَامُوا بِهِ, وَيُبَيِّنُوا مَا بُذِلَ فِيهِ مِنْ جَهْدٍ, وَلَكِنَّنَا آثَرْنَا أَنْ نَتْرُكَ هَذَا الْعَمَلَ لِيُقَدِّمَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ إِلَى الْقُرَّاءِ, مُوقِنِينَ بِأَنَّ الْعَمَلَ الْجَادَّ الْمُثْمِرَ لَيْسَ فِي حَاجَةٍ إِلَى مَنْ يُعْلِنُ عَنْهُ أَوْ يُعَرِّفُ بِهِ .

إِنَّ أَعْمَاقَ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ زَاخِرَةٌ بِالْكُنُوزِ الَّتِي دَبَّجَتْهَا بَرَاعَةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنْ أَبْنَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ, فَمَنْ لِهَذِهِ الْكُنُوزِ يُخْرِجُهَا إِلَى دُنْيَا الْمُسْلِمِينَ لِتُنِيرَ حَيَاتَهُمْ, وَتُرْشِدَ أَجْيَالَهُمْ, وَتَجْعَلَهُمْ عَلَى الْجَادَّةِ سَائِرِينَ .

د. عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَمِيرَةَ .

الْأُسْتَاذُ الْمُشَارِكُ بِجَامِعَةِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ سُعُودٍ الْإِسْلَامِيَّةِ - الرِّيَاضُ .

نَصُّ كِتَابِ "الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ وَالزَّنَادِقَةِ"

مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ, وَبِهِ نَسْتَعِينُ, وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ, شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ, رضي الله عنه وَأَثَابَهُ الْجَنَّةَ, وَغَفَرَ لَنَا وَلَهُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ, آمِينَ .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي كُلِّ زَمَانٍ فَتْرَةٍ مِنْ الرُّسُلِ, بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إِلَى الْهُدَى, وَيَصْبِرُونَ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى, يُحْيُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ الْمَوْتَى, وَيُبَصِّرُونَ بِنُورِ اللَّهِ أَهْلَ الْعَمَى, فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لِإِبْلِيسَ قَدْ أَحْيَوْهُ, وَكَمْ مِنْ ضَالٍّ تَائِهٍ قَدْ هَدَوْهُ, فَمَا أَحْسَنَ أَثَرَهُمْ عَلَى النَّاسِ, وَأَقْبَحَ أَثَرَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ .

يَنْفُونَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ, وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ, وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ, الَّذِينَ عَقَدُوا أَلْوِيَةَ الْبِدَعِ, وَأَطْلَقُوا عِقَالَ الْفِتْنَةِ, فَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الْكِتَابِ, مُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ, مُجْمِعُونَ عَلَى مُفَارَقَةِ الْكِتَابِ, يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ, وَفِي اللَّهِ, وَفِي كِتَابِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ, يَتَكَلَّمُونَ بِالْمُتَشَابِهِ مِنَ الْكَلَامِ, وَيَخْدَعُونَ جُهَّالَ النَّاسِ بِمَا يُشَبِّهُونَ عَلَيْهِمْ, فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتَنِ الضَّالِّينَ .

بَابُ بَيَانِ مَا ضَلَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ مِنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ

قَالَ أَحْمَدُ فِي قَوْلِهِ عز وجل ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾[1] . .

١ -سورة النساء آية : ٥٦ .

قَالَتْ الزَّنَادِقَةُ فَمَا بَالُ جُلُودِهِمْ الَّتِي عَصَتْ قَدْ احْتَرَقَتْ, وَأَبْدَلَهُمْ [1] جُلُودًا غَيْرَهَا؟ فَلَا نَرَى إِلَّا أَنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ جُلُودًا لَمْ تُذْنِبْ حِينَ يَقُولُ: ﴿ بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [2] .

فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ, وَزَعَمُوا أَنَّهُ مُتَنَاقِضٌ .

فَقُلْتُ إِنَّ قَوْلَ اللَّهِ [3] تَعَالَى: ﴿ بَدَّلْنَـٰهُمْ ﴾ [4] [5] ﴿ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [6] لَيْسَ يَعْنِي جُلُودًا غَيْرَ جُلُودِهِمْ, وَإِنَّمَا يَعْنِي بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا, تَبْدِيلَهَا تَجْدِيدُهَا; لِأَنَّ جُلُودَهُمْ إِذَا نَضِجَتْ جَدَّدَهَا اللَّهُ, وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقُرْآنَ فِيهِ خَاصٌّ وَعَامٌّ, وَوُجُوهٌ كَثِيرَةٌ, وَخَوَاطِرُ يَعْلَمُهَا الْعُلَمَاءُ . .

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷻ ﴿ هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [7] .

ثُمَّ قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [8] .

فَقَالُوا كَيْفَ يَكُونُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمُحْكَمِ؟ قَالَ: ﴿ هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [9] ثُمَّ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [10] .

---

١ – في ب: وأبدلهم الله.

٢ -سورة النساء آية : ٥٦ .

٣ – في ب: الله عز وجل.

٤ -سورة النساء آية : ٥٦ .

٥ – سقطت "بدلناهم" في ب:.

٦ -سورة النساء آية : ٥٦ .

٧ – سورة المرسلات آية : ٣٥.

٨ -سورة الزمر آية : ٣١ .

٩ – سورة المرسلات آية : ٣٥.

١٠ -سورة الزمر آية : ٣١ .

فَزَعَمُوا أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضًا, فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ . .

أَمَّا تَفْسِيرُ ﴿ هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [1] [2] فَهَذَا أَوَّلُ مَا تُبْعَثُ الْخَلَائِقُ عَلَى مِقْدَارِ سِتِّينَ سَنَةً لَا يَنْطِقُونَ, وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فِي الِاعْتِذَارِ فَيَعْتَذِرُونَ, ثُمَّ يُؤْذَنُ لَهُمْ فِي كَلَامٍ فَيَتَكَلَّمُونَ, فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا ﴾ [3] الْآيَةَ .

فَإِذَا أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ فَتَكَلَّمُوا وَاخْتَصَمُوا, فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [4] .

عِنْدَ الْحِسَابِ وَإِعْطَاءِ الْمَظَالِمِ, ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ ﴾ [5] أَيْ عِنْدِي ﴿ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [6] [7] فَإِنَّ الْعَذَابَ مَعَ هَذَا الْقَوْلِ كَائِنٌ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: [8] ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ [9] .

وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [1] [2] .

---

١ – سورة المرسلات آية : ٣٥.

٢ -في ب: زادت كلمة "الآية ."

٣ – سورة السجدة آية : ١٢.

٤ -سورة الزمر آية : ٣١ .

٥ – سورة ق آية : ٢٨.

٦ -سورة ق آية : ٢٨ .

٧ – في ب: "بالوعيد" يعني: في الدنيا.

٨ -سقطت في (أ) عز وجل .

٩ – سورة الإسراء آية : ٩٧.

فَقَالُوا كَيْفَ يَكُونُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمُحْكَمِ .

﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ (٣) .

ثُمَّ يَقُولُ فِي مَوْضُوعٍ آخَرَ أَنَّهُ يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا؟ فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَجْلِ تِلْكَ . أَمَّا تَفْسِيرُ: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ (٤) .

فَإِنَّهُمْ أَوَّلُ مَا يَدْخُلُونَ النَّارَ يُكَلِّمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا, وَيُنَادُونَ ﴿ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (٥) .

وَيَقُولُ: ﴿ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ (٦) وَ: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ (٧) فَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ حَتَّى قَالَ لَهُمْ (٨)﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (٩) .

---

١ -سورة الأعراف آية : ٥٠ .

٢ – اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ فصاروا عُمْيًا وبُكْمًا وصُمًا، وينقطع الكلام ويبقى الزفير والشهيق، فهذا تفسير ما شَكَّت فيه الزنادقة من قول الله.

٣ -سورة الإسراء آية : ٩٧ .

٤ – سورة الأعراف آية : ٥٠.

٥ -سورة الزخرف آية : ٧٧ .

٦ – سورة إبراهيم آية : ٤٤.

٧ -سورة المؤمنون آية : ١٠٦ .

٨ – . وأما قوله: فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ وقال في آية أخرى: فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ فقالوا: كيف يكون هذا من المحكم؟ فشكُّوا في القرآن من أجل ذلك. ٨٨ فأما قوله –عز وجل–: فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ فهذا عند النفخة الثانية، إذا قاموا من القبور، لا يتساءلون، ولا ينطقون في ذلك الموطن، فإذا حُوسِبُوا، ودخلوا الجنة والنار، أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، فهذا تفسير ما شَكَّت فيه الزنادقة. وأما قوله.

٩ -سورة المؤمنون آية : ١٠٨ .

فَصَارُوا عُمْيًا وَبُكْمًا وصُمًا, وَيَنْقَطِعُ الْكَلَامُ وَيَبْقَى الزَّفِيرُ وَالشَّهِيقُ, فَهَذَا تَفْسِيرُ مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ [1] .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [2] .

وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [3] .

فَقَالُوا كَيْفَ يَكُونُ هَذَا مِنَ الْمُحْكَمِ؟ فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ .

فَأَمَّا قَوْلُهُ ﷻ ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [4] .

فَهَذَا عِنْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ, إِذَا قَامُوا مِنَ الْقُبُورِ, لَا يَتَسَاءَلُونَ, وَلَا يَنْطِقُونَ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ, فَإِذَا حُوسِبُوا, وَدَخَلُوا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ, أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ, فَهَذَا تَفْسِيرُ مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [5] .

وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ﴾ [6] .

فَقَالُوا إِنَّ اللَّهَ قَدْ ذَمَّ قَوْمًا كَانُوا يُصَلُّونَ, فَقَالَ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ﴾ [7] .

---

١ – مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وقال في آية أخرى: فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ فقالوا: إن الله قد ذمَّ قومًا كانوا يصلون، فقال: فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ وقد قال في قوم: إنهم إنما دخلوا النار؛ لأنهم لم يكونوا يصلون. فشكُّوا في القرآن من أجل ذلك، وزعموا أنه متناقض. قال: وأما قوله: فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ عنى بها المنافقين الذين هم عن.

٢ -سورة المؤمنون آية : ١٠١ .

٣ – سورة الصافات آية : ٥٠.

٤ -سورة المؤمنون آية : ١٠١ .

٥ – سورة المدثر آية : ٤٢.

٦ -سورة الماعون آية : ٤ .

٧ – سورة الماعون آية : ٤.

وَقَدْ قَالَ فِي قَوْمٍ إِنَّهُمْ إِنَّمَا دَخَلُوا النَّارَ; لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يُصَلُّونَ فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ, وَزَعَمُوا أَنَّهُ مُتَنَاقِضٌ .

قَالَ وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ﴾ [1] عَنَى بِهَا الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ حَتَّى يَذْهَبَ الْوَقْتُ .

الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ يَقُولُ إِذَا رَأَوْهُمْ صَلُّوا, وَإِذَا لَمْ يَرَوْهُمْ لَمْ يُصَلُّوا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: [2]﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝٤٣ ﴾ [3] .

يَعْنِي: الْمُوَحِّدِينَ الْمُؤْمِنِينَ فَهَذَا مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ [4] ﷻ ﴿ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ [5] .

ثُمَّ قَالَ: ﴿ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١ ﴾ [6] .

ثُمَّ قَالَ: ﴿ مِن سُلَالَةٍ ﴾ [7] .

ثُمَّ قَالَ: ﴿ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦ ﴾ [8] .

---

١ -سورة الماعون آية : ٤ .

٢ – في ب: الله عز وجل.

٣ -سورة المدثر آية : ٤٢ .

٤ – في ب: قول الله عز وجل.

٥ -سورة الروم آية : ٢٠ .

٦ – سورة الصافات آية : ١١.

٧ -سورة المؤمنون آية : ١٢ .

٨ – سورة الحجر آية : ٢٦.

ثُمَّ قَالَ: ﴿ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ [1] .

فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ وَقَالُوا هَذَا تَلْبِيسٌ [2] يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضًا .

نَقُولُ هَذَا بَدْءُ [3] خَلْقِ آدَمَ, خَلَقَهُ اللَّهُ أَوَّلَ بَدْءٍ [4] مِنْ تُرَابٍ .

ثُمَّ مِنْ طِينَةٍ حَمْرَاءَ وَسَوْدَاءَ وَبَيْضَاءَ, وَمِنْ طِينَةٍ طَيِّبَةٍ وَسَبِخَةٍ, فَكَذَلِكَ [5] ذُرِّيَّتُهُ طَيِّبٌ وَخَبِيثٌ, أَسْوَدُ وَأَحْمَرُ وَأَبْيَضُ, ثُمَّ بَلَّ ذَلِكَ التُّرَابَ فَصَارَ طِينًا, فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [6] فَلَمَّا لَصِقَ الطِّينُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ, فَصَارَ طِينًا لَازِبًا بِمَعْنَى [7] لَاصِقًا, ثُمَّ قَالَ: ﴿ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [8] .

يَقُولُ مِثْلَ الطِّينِ إِذَا عُصِرَ انْسَلَّ مِنْ بَيْنِ الْأَصَابِعِ, ثُمَّ نَتِنَ فَصَارَ حَمَأً مَسْنُونًا, فَخَلَقَ مِنَ الْحَمَأِ, فَلَمَّا جَفَّ صَارَ صَلْصَالًا كَالْفَخَّارِ, يَقُولُ صَارَ لَهُ صَلْصَلَةٌ كَصَلْصَلَةِ الْفَخَّارِ, لَهُ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ الْفَخَّارِ فَهَذَا بَيَانُ خَلْقِ آدَمَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ [9] .

فَهَذَا بَدْءُ خَلْقِ ذُرِّيَّتِهِ, مِنْ سُلَالَةٍ يَعْنِي: النُّطْفَةَ إِذَا انْسَلَّتْ مِنَ الرَّجُلِ .

---

١ -سورة الرحمن آية : ١٤ .

٢ – في ب: هذه ملابسة.

٣ -هذا بدوء في ب .

٤ – في ب: أول بدئه.

٥ -في ب: فلذلك .

٦ – سورة المؤمنون آية : ١٢.

٧ -في ب: يعني .

٨ – سورة المؤمنون آية : ١٢.

٩ -سورة السجدة آية : ٨ .

فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ مِّن مَّآءٍ ﴾ [1] يَعْنِي النُّطْفَةَ ﴿ مَّهِينٍ ۝٨ ﴾ [2] يَعْنِي: ضَعِيفٌ [3] فَهَذَا مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: [4] ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ [5] .

﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧ ﴾ [6] .

﴿ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾ [7] .

فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ, وَقَالُوا كَيْفَ يَكُونُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمُحْكَمِ .

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ [8] فَهَذَا الْيَوْمُ الَّذِي يَسْتَوِي فِيهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ, أَقْسَمَ اللَّهُ [9] بِمَشْرِقِهِ وَمَغْرِبِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧ ﴾ [10] فَهَذَا أَطْوَلُ يَوْمٍ فِي السَّنَةِ, وَأَقْصَرُ يَوْمٍ فِي السَّنَةِ, أَقْسَمَ اللَّهُ بِمَشْرِقِهِمَا وَمَغْرِبِهِمَا [1] .

---

١ – سورة السجدة آية : ٨.

٢ -سورة السجدة آية : ٨ .

٣ – في ب: يعني: الضعيف.

٤ -في ب: قول الله .

٥ – سورة المزمل آية : ٩.

٦ -سورة الرحمن آية : ١٧ .

٧ – سورة المعارج آية : ٤٠.

٨ -سورة المزمل آية : ٩ .

٩ – في ب: أقسم الله سبحانه.

١٠ -سورة الرحمن آية : ١٧ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾ [٢] فَهُوَ مَشَارِقُ السَّنَةِ وَمَغَارِبُهَا, فَهَذَا مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: [٣]﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [٤] .

وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾ [٥] .

وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [٦] .

فَقَالُوا كَيْفَ يَكُونُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمُحْكَمِ, وَهُوَ يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضًا .

قَالَ أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [٧] فَهَذَا مِنَ الْأَيَّامِ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ فِيهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ, كُلُّ يَوْمٍ كَأَلْفِ سَنَةٍ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [١] .

---

١ – في ب: مشرقها ومغربها.

٢ -سورة المعارج آية : ٤٠ .

٣ – في ب: قول الله عز وجل.

٤ -سورة الحج آية : ٤٧ .

٥ – سورة السجدة آية : ٥.

٦ -سورة المعارج آية : ٤ .

٧ – سورة الحج آية : ٤٧.

١ -سورة السجدة آية : ٥ .

وَذَلِكَ أَنَّ جِبْرَائِيلَ كَانَ يَنْزِلُ عَلَى [١] النَّبِيِّ ﷺ وَيَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ فِي [٢] يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ, وَذَلِكَ أَنَّهُ [٣] مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ [٤] عَامٍ, فَهُبُوطٌ خَمْسُمِائَةٍ [٥] وَصُعُودٌ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ, فَذَلِكَ أَلْفُ عَامٍ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [٦] يَقُولُ لَوْ وُلِّيَ حِسَابَ الْخَلَائِقِ غَيْرُ اللَّهِ, مَا فَرَغَ مِنْهُ فِي يَوْمٍ مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ, وَيَفْرُغُ اللَّهُ مِنْهُ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا, إِذَا أَخَذَ فِي حِسَابِ الْخَلَائِقِ, فَذَلِكَ قَوْلُهُ: [٧]﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [٨] يَعْنِي: سُرْعَةَ الْحِسَابِ .

---

١ – في ب: ينزل إلى.

٢ -في ب: في كل يوم .

٣ – في ب: وذلك أن من السماء.

٤ -في ب: سنة .

٥ – سقطت من (أ) عام.

٦ -سورة السجدة آية : ٥ .

٧ – في ب: قوله تعالى.

٨ -سورة الأنبياء آية : ٤٧ .

بَابُ بَيَانِ مَا ضَلَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ مِنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [1] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [2] فَأَنْكَرُوا أَنْ كَانُوا مُشْرِكِينَ .

وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [3] .

فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ, وَزَعَمُوا أَنَّهُ مُتَنَاقِضٌ .

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [4] وَذَلِكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ [5] الْمُشْرِكِينَ إِذَا رَأَوْا مَا يَتَجَاوَزُ اللَّهُ عَنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِذَا سَأَلَنَا نَقُولُ لَمْ نَكُنْ مُشْرِكِينَ, فَلَمَّا جَمَعَهُمْ اللَّهُ, وَجَمَعَ أَصْنَامَهُمْ وَقَالَ: ﴿ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [6] .

قَالَ اللَّهُ: [7] ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [8] .

---

١ – سورة الأنعام آية : ٢٢.

٢ -سورة الأنعام آية : ٢٣ .

٣ – سورة النساء آية : ٤٢.

٤ -سورة الأنعام آية : ٢٣ .

٥ – في ب: وذلك أن أهل الشرك.

٦ -سورة القصص آية : ٦٢ .

٧ – في ب: قال الله تعالى.

٨ -سورة الأنعام آية : ٢٣ .

فَلَمَّا كَتَمُوا الشَّكَّ, خَتَمَ اللَّهُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَأَنْطَقَ الْجَوَارِحَ, فَنَطَقَتْ بِذَلِكَ, فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (١) فَأَخْبَرَ اللَّهُ ﷻ عَنِ الْجَوَارِحِ حِينَ شَهِدَتْ, فَهَذَا تَفْسِيرُ مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ .

أَمَّا قَوْلُهُ (٢) ﷻ ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ ﴾ (٣) .

وَقَالَ: ﴿ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ (٤) .

وَقَالَ: ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ (٥) .

وَقَالَ: ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾ (٦) وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ شَكَّتِ الزَّنَادِقَةُ .

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ (٧) وَذَلِكَ إِذَا خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ, فَنَظَرُوا إِلَى مَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْبَعْثِ, قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنْ لَبِثْتُمْ فِي الْقُبُورِ إِلَّا عَشْرَ لَيَالٍ, وَاسْتَكْثَرُوا الْعَشْرَ, فَقَالُوا إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا فِي الْقُبُورِ, ثُمَّ اسْتَكْثَرُوا الْيَوْمَ فَقَالُوا: ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾ (٨) ثُمَّ اسْتَكْثَرُوا الْقَلِيلَ .

---

١ – سورة يس آية : ٦٥.

٢ -في ب: قول الله عز وجل .

٣ – سورة الروم آية : ٥٥.

٤ -سورة طه آية : ١٠٣ .

٥ – سورة طه آية : ١٠٤.

٦ -سورة الإسراء آية : ٥٢ .

٧ – سورة طه آية : ١٠٣.

٨ -سورة الإسراء آية : ٥٢ .

فَقَالُوا: ﴿ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۚ ﴾ [1] [2] فَهَذَا تَفْسِيرُ مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: [3]﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآۖ ﴾ [4] .

وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ ﴾ [5] .

فَقَالُوا وَكَيْفَ يَكُونُ [6] هَذَا فَيَقُولُونَ لَا عِلْمَ لَنَا .

وَأَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ فَزَعَمُوا أَنَّ الْقُرْآنَ يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضًا .

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ ﴾ [7] فَإِنَّهُ يَسْأَلُهُمْ عِنْدَ زَفْرَةِ جَهَنَّمَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ فِي التَّوْحِيدِ؟ فَتَذْهَبُ عُقُولُهُمْ عِنْدَ زَفْرَةِ جَهَنَّمَ, فَيَقُولُونَ لَا عِلْمَ لَنَا ثُمَّ تَرْجِعُ لَهُمْ [8] عُقُولُهُمْ مِنْ بَعْدُ فَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ, فَهَذَا تَفْسِيرُ مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: [9]﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾ [10] .

---

١ – سورة الأحقاف آية : ٣٥.

٢ -لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ٣٥ الأحقاف .

٣ – في ب: قول الله –عز وجل–.

٤ -سورة المائدة آية : ١٠٩ .

٥ – سورة هود آية : ١٨.

٦ -في ب: كيف يقولون هذا .

٧ – سورة المائدة آية : ١٠٩.

٨ -في ب: ثم ترجع إليهم عقولهم .

٩ – في ب: قول الله –عز وجل–.

١٠ -سورة القيامة آية : ٢٢ .

وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [1] .

فَقَالُوا كَيْفَ يَكُونُ هَذَا؟ يُخْبِرُ أَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ, وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [2] فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ, وَزَعَمُوا أَنَّهُ يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضًا .

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [3] يَعْنِي: الْحُسْنَ وَالْبَيَاضَ, ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [4] يَعْنِي: تُعَايِنُ رَبَّهَا فِي الْجَنَّةِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [5] يَعْنِي: فِي الدُّنْيَا دُونَ الْآخِرَةِ, وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا لِمُوسَى: ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ [6] .

فَمَاتُوا وَعُوقِبُوا لِقَوْلِهِمْ: ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [7] وَقَدْ سَأَلَتْ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: ﴿ أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ ﴾ [8] .

---

١ – سورة الأنعام آية : ١٠٣.

٢ -سورة الأنعام آية : ١٠٣ .

٣ – سورة القيامة آية : ٢٢.

٤ -سورة القيامة آية : ٢٣ .

٥ – سورة الأنعام آية : ١٠٣.

٦ -سورة النساء آية : ١٥٣ .

٧ – سورة النساء آية : ١٥٣.

٨ -سورة الإسراء آية : ٩٢ .

فَلَمَّا سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾[1] .

١ - سورة البقرة آية : ١٠٨.

حِينَ قَالُوا: ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ [1] الْآيَةَ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ- يُخْبِرُ أَنَّهُ لَا تُدْرِكُهُ [2] الْأَبْصَارُ; أَيْ أَنَّهُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا دُونَ الْآخِرَةِ, فَقَالَ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [3] .

يَعْنِي فِي الدُّنْيَا, أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ, فَهَذَا تَفْسِيرُ مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ .

وَأَمَّا قَوْلُ مُوسَى: ﴿ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [4] .

وَقَالَ السَّحَرَةُ: ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [5]

.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [6] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [7] .

قَالُوا "كَيْفَ قَالَ مُوسَى وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ", وَقَدْ كَانَ قَبْلَهُ إِبْرَاهِيمُ مُؤْمِنًا وَيَعْقُوبُ وَإِسْحَاقُ, فَكَيْفَ جَازَ لِمُوسَى أَنْ يَقُولَ "وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ", وَقَالَتْ السَّحَرَةُ أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ", وَكَيْفَ جَازَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَقُولَ "وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ " وَقَدْ كَانَ قَبْلَهُ مُسْلِمُونَ كَثِيرٌ, مِثْلَ عِيسَى وَمَنْ تَبِعَهُ فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ, وَقَالُوا إِنَّهُ مُتَنَاقِضٌ .

---

١ -سورة النساء آية : ١٥٣ .

٢ - سقطت من النسخة ب: لا تدركه الأبصار.

٣ -سورة الأنعام آية : ١٠٣ .

٤ - سورة الأعراف آية : ١٤٣.

٥ -سورة الشعراء آية : ٥١ .

٦ - سورة الأنعام آية : ١٦٢.

٧ -سورة الأنعام آية : ١٦٣ .

أَمَّا قَوْلُ مُوسَى: ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [1] فَإِنَّهُ حِينَ قَالَ: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ ﴾ [2] قَالَ: [3] ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [4] وَلَا يَرَانِي أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا, إِلَّا مَاتَ .

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ ﴾ [5] فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: ﴿ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [6] .

يَعْنِي: أَوَّلَ الْمُصَدِّقِينَ, أَنَّهُ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا إِلَّا مَاتَ .

وَأَمَّا قَوْلُ السَّحَرَةِ: ﴿ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [7] يَعْنِي: أَوَّلَ الْمُصَدِّقِينَ بِمُوسَى مِنْ أَهْلِ مِصْرَ مِنَ الْقِبْطِ [8] .

وَأَمَّا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [9] يَعْنِي: مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَهَذَا تَفْسِيرُ مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ .

---

١ – سورة الأعراف آية : ١٤٣.

٢ -سورة الأعراف آية : ١٤٣ .

٣ – في ب: قال الله تعالى.

٤ -سورة الأعراف آية : ١٤٣ .

٥ – سورة الأعراف آية : ١٤٣.

٦ -سورة الأعراف آية : ١٤٣ .

٧ – سورة الشعراء آية : ٥١.

٨ -في ب: قول الله عز وجل .

٩ – سورة الأنعام آية : ١٦٣.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: [1]﴿ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [2] .

وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [3] .

وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [4] .

فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ, وَقَالُوا إِنَّهُ يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضًا .

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [5] يَعْنِي: عَذَابُ ذَلِكَ النَّارُ الَّذِي هُمْ فِيهِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [6] وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ مَسَخَهُمْ خَنَازِيرَ, فَعَذَّبَهُمْ بِالْمَسْخِ مَا لَمْ يُعَذِّبْ مَنْ سِوَاهُمْ مِنْ النَّاسِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [7] لِأَنَّ جَهَنَّمَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ جَهَنَّمُ, وَلَظَى, وَالْحُطَمَةُ, وَسَقَرٌ, وَالسَّعِيرُ, وَالْجَحِيمُ, وَالْهَاوِيَةُ وَهُمْ فِي أَسْفَلِ دَرْكٍ فِيهَا .

وَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ ﴾ [8] .

---

١ -في ب: قول الله عز وجل .

٢ – سورة غافر آية : ٤٦.

٣ -سورة المائدة آية : ١١٥ .

٤ – سورة النساء آية : ١٤٥.

٥ -سورة غافر آية : ٤٦ .

٦ – سورة المائدة آية : ١١٥.

٧ -سورة النساء آية : ١٤٥ .

٨ – سورة الغاشية آية : ٦.

ثُمَّ قَالَ: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [1] .

فَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّ لَهُمْ طَعَامًا فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ, وَزَعَمُوا أَنَّهُ مُتَنَاقِضٌ .

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ ﴾ [2] يَقُولُ: لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ فِي ذَلِكَ الْبَابِ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ, وَيَأْكُلُونَ الزَّقُّومَ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْبَابِ, فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [3] فَهَذَا مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ ﴾ [4] .

وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ [5] .

فَقَالُوا كَيْفَ يَكُونُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمُحْكَمِ؟ يُخْبِرُ أَنَّهُ مَوْلَى مَنْ آمَنَ ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ ﴾ [6] فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ .

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [7] يَقُولُ نَاصِرُ الَّذِينَ آمَنُوا, وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا نَاصِرَ لَهُمْ .

---

١ -سورة الدخان آية : ٤٣ .

٢ – سورة الغاشية آية : ٦.

٣ -سورة الدخان آية : ٤٣ .

٤ – سورة محمد آية : ١١.

٥ -سورة الأنعام آية : ٦٢ .

٦ – سورة محمد آية : ١١.

٧ -سورة محمد آية : ١١ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ [1] لِأَنَّ فِي الدُّنْيَا أَرْبَابَ بَاطِلٍ فَهَذَا مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [2] .

وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ [3] فَقَالُوا كَيْفَ يَكُونُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمُحْكَمِ .

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ [4] يَعْنِي: الْعَادِلُونَ بِاللَّهِ, الَّذِينَ يَجْعَلُونَ [5] اللَّهَ عَدْلًا مِنْ خَلِيقَتِهِ, فَعَبَدُوهُ مَعَ اللَّهِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [6] يَقُولُ اعْدِلُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ النَّاسِ, إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ .

وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [7] يَعْنِي يُشْرِكُونَ فَهَذَا مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ [1] .

---

١ – سورة الأنعام آية : ٦٢.

٢ -سورة المائدة آية : ٤٢ .

٣ – سورة الجن آية : ١٥.

٤ -سورة الجن آية : ١٥ .

٥ – في ب: الجاعلون له عدلا.

٦ -سورة المائدة آية : ٤٢ .

٧ – سورة النمل آية : ٦٠.

وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ ﴾ [٢] وَكَأَنَّ هَذَا [٣] عِنْدَ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهُ يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضًا .

١ -سورة التوبة آية : ٧١ .

٢ - سورة الأنفال آية : ٧٢.

٣ -سقطت في ب: هذا .

بَابُ بَيَانِ مَا ضَلَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ مِنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ﴾ (١) يَعْنِي: مِنَ الْمِيرَاثِ, وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ حَكَمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ أَنْ لَا يَتَوَارَثُوا إِلَّا بِالْهِجْرَةِ, فَإِنْ مَاتَ رَجُلٌ بِمَكَّةَ لَهُ وَلِيٌّ مُهَاجِرٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ يَرِثُهُ الْمُهَاجِرُ, فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ﴾ (٢) فَلَمَّا كَثُرَ الْمُهَاجِرُونَ رَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ الْمِيرَاثَ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ, هَاجَرُوا أَوْ لَمْ يُهَاجِرُوا, وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ ﴾ (٣) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ (٤) يَعْنِي: فِي الدِّينِ, وَالْمُؤْمِنُ يَتَوَلَّى الْمُؤْمِنَ فِي دِينِهِ فَهَذَا تَفْسِيرُ مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ لِإِبْلِيسَ: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ (٥) .

وَقَالَ مُوسَى حِينَ قَتَلَ النَّفْسَ: ﴿ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ﴾ (٦) .

فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ, وَزَعَمُوا أَنَّهُ مُتَنَاقِضٌ .

---

١ – سورة الأنفال آية : ٧٢.

٢ -سورة الأنفال آية : ٧٢ .

٣ – سورة الأحزاب آية : ٦.

٤ -سورة التوبة آية : ٧١ .

٥ – سورة الحجر آية : ٤٢.

٦ -سورة القصص آية : ١٥ .

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ [1] يَقُولُ عِبَادِي -الَّذِينَ اسْتَخْلَصَهُمُ اللَّهُ لِدِينِهِ- لَيْسَ لِإِبْلِيسَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ أَنْ يُضِلَّهُمْ فِي دِينِهِمْ, أَوْ [2] . فِي عِبَادَةِ رَبِّهِمْ, وَلَكِنَّهُ يُصِيبُ مِنْهُمْ مِنْ قِبَلِ الذُّنُوبِ, فَأَمَّا فِي الشِّرْكِ فَلَا يَقْدِرُ إِبْلِيسُ أَنْ يُضِلَّهُمْ عَنْ دِينِهِمْ; لِأَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ- اسْتَخْلَصَهُمْ لِدِينِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُ مُوسَى: ﴿ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ﴾ [3] يَعْنِي: مَنْ تَزَيُّنِ الشَّيْطَانِ, كَمَا زَيَّنَ لِيُوسُفَ, وَلِآدَمَ وَحَوَّاءَ, وَهُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ الْمُخْلِصُونَ .

فَهَذَا تَفْسِيرُ مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ .

وَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ لِلْكُفَّارِ: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ﴾ [4] وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ فِى كِتَـٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [5] فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ .

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ﴾ [6] يَقُولُ "نَتْرُكُكُمْ فِي النَّارِ" ﴿ كَمَا نَسِيتُمْ ﴾ [7] كَمَا تَرَكْتُمُ الْعَمَلَ لِلِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا .

---

١ - سورة الحجر آية : ٤٢.

٢ -سقطت في ب: في .

٣ - سورة القصص آية : ١٥.

٤ -سورة الجاثية آية : ٣٤ .

٥ - سورة طه آية : ٥٢.

٦ -سورة الجاثية آية : ٣٤ .

٧ - سورة الجاثية آية : ٣٤.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [1] يَقُولُ لَا يَذْهَبُ مِنْ حِفْظِهِ وَلَا يَنْسَاهُ .

وَأَمَّا قَوْلُ: [2]﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [3] .

وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [4] .

فَقَالُوا كَيْفَ يَكُونُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمُحْكَمِ؟ فَيَقُولُ "إِنَّهُ أَعْمَى" وَيَقُولُ: ﴿ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [5] فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ .

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [6] عَنْ حُجَّتِهِ وَقَالَ: ﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ ﴾ [7] عَنْ حُجَّتِي, "وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا بِهَا, مُخَاصِمًا بِهَا" فَذَلِكَ قَوْلُهُ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمْ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ .

---

١ -سورة طه آية : ٥٢ .

٢ – في ب: قول الله عز وجل.

٣ -سورة طه آية : ١٢٤ .

٤ – سورة ق آية : ٢٢.

٥ -سورة ق آية : ٢٢ .

٦ – سورة طه آية : ١٢٤.

٧ -سورة طه آية : ١٢٥ .

يَقُولُ: الْحُجَجُ ﴿ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [1] وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [2] .

وَذَلِكَ أَنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ شَخَصَ بَصَرُهُ, وَلَا يَطْرِفُ بَصَرُهُ حَتَّى يُعَايِنَ جَمِيعَ مَا كَانَ يُكَذِّبُ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْبَعْثِ, فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [3] .

يَقُولُ غِطَاءُ الْآخِرَةِ, فَبَصَرُكَ يَحِدُّ النَّظَرَ لَا يَطْرِفُ حَتَّى يُعَايِنَ جَمِيعَ مَا كَانَ يُكَذِّبُ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْبَعْثِ, فَهَذَا تَفْسِيرُ مَا شَكَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ لِمُوسَى: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [4] .

وَقَوْلُهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [5] .

وَقَالُوا كَيْفَ قَالَ: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ ﴾ [6] .

وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [7] فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ .

---

١ – سورة القصص آية : ٦٦.

٢ -سورة ق آية : ٢٢ .

٣ – سورة ق آية : ٢٢.

٤ -سورة طه آية : ٤٦ .

٥ – سورة الشعراء آية : ١٥.

٦ -سورة طه آية : ٤٦ .

٧ – سورة الشعراء آية : ١٥.

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ إِنَّا مَعَكُم ﴾ [1] فَهَذَا فِي مَجَازِ اللُّغَةِ, يَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ إِنَّا سَنُجْرِي عَلَيْكَ رِزْقَكَ, إِنَّا سَنَفْعَلُ بِكَ كَذَا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [2] فَهُوَ جَائِزٌ فِي اللُّغَةِ, يَقُولُ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ لِلرَّجُلِ سَأُجْرِي عَلَيْكَ رِزْقَكَ, أَوْ سَأَفْعَلُ بِكَ خَيْرًا .

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ [3] -رَحِمَهُ اللَّهُ-: وَكَذَلِكَ [4] الْجَهْمُ وَشِيعَتُهُ [5] دَعَوُا النَّاسَ إِلَى الْمُتَشَابِهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ, فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا بِكَلَامِهِمْ [6] بَشَرًا كَثِيرًا, فَكَانَ مِمَّا بَلَغَنَا مِنْ أَمْرِ الْجَهْمِ -عَدُوِّ اللَّهِ- أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ, مِنْ أَهْلِ تِرْمِذَ, وَكَانَ صَاحِبَ خُصُومَاتٍ وَكَلَامٍ, وَكَانَ أَكْثَرُ كَلَامِهِ فِي اللَّهِ تَعَالَى [7] فَلَقِيَ أُنَاسًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ [8] يُقَالُ لَهُمُ السَّمْنِيَّةُ [9] فَعَرَفُوا الْجَهْمَ فَقَالُوا لَهُ نُكَلِّمُكَ, فَإِنْ ظَهَرَتْ حُجَّتُنَا عَلَيْكَ دَخَلْتَ فِي دِينِنَا, وَإِنْ ظَهَرَتْ حُجَّتُكَ عَلَيْنَا دَخَلْنَا فِي دِينِكَ .

فَكَانَ مِمَّا كَلَّمُوا بِهِ الْجَهْمَ [10] أَنْ قَالُوا لَهُ "أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ لَكَ إِلَهًا .

---

١ -سورة الشعراء آية : ١٥ .

٢ - سورة طه آية : ٤٦.

٣ -في ب: قال أحمد وسقطت لفظة الإمام .

٤ - في ب: وكان الجهم وشيعته.

٥ -سقطت في (أ) كذلك: وشيعته كذلك .

٦ - سقطت في (أ) بشرًا: بكلامهم كثيرًا.

٧ -سقطت في (أ) تعالى: في الله فقط .

٨ - في ب:الكفار.

٩ -السمنية: قالوا بقدم العالم، وزعموا أنه لا معلوم إلا من جهة الحواس، وأنكر أكثرهم المعاد والبعث بعد الموت، وقال فريق منهم بتناسخ الأرواح، وهم فرقة ضالة بعيدة عن الإسلام .

١٠ - جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي، الضال المبتدع، رأس الجهمية، قتله نَصْر بن سَيَّار سنة ثمان وعشرين ومائة: "لسان الميزان" جـ ٢، ص ١٤٢.

قَالَ الْجَهْمُ: نَعَمْ [1] .

فَقَالُوا لَهُ فَهَلْ رَأَيْتَ إِلَهَكَ ! .

قَالَ: لَا .

قَالُوا فَهَلْ سَمِعْتَ كَلَامَهُ .

قَالَ: لَا .

قَالُوا فَشَمَمْتَ لَهُ رَائِحَةً .

قَالَ: لَا .

قَالُوا [2] فَوَجَدْتَ لَهُ حِسًّا .

قَالَ: لَا .

قَالُوا فَوَجَدْتَ لَهُ مَجَسًّا .

قَالَ لَا .

قَالُوا فَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهُ إِلَهٌ .

قَالَ فَتَحَيَّرَ الْجَهْمُ, فَلَمْ يَدْرِ مَنْ يَعْبُدُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا, ثُمَّ إِنَّهُ اسْتَدْرَكَ حُجَّةً مِثْلَ حُجَّةِ زَنَادِقَةِ [3] النَّصَارَى, وَذَلِكَ أَنَّ زَنَادِقَةَ النَّصَارَى يَزْعُمُونَ أَنَّ الرُّوحَ الَّذِي فِي عِيسَى هُوَ رُوحُ اللَّهِ, مِنْ ذَاتِ اللَّهِ, فَإِذَا أَرَادَ [4] أَنْ يُحْدِثَ أَمْرًا دَخَلَ فِي بَعْضِ خَلْقِهِ, فَتَكَلَّمَ عَلَى لِسَانِ خَلْقِهِ, فَيَأْمُرُ بِمَا يَشَاءُ, وَيَنْهَى عَمَّا يَشَاءُ, وَهُوَ رُوحٌ غَائِبَةٌ عَنِ الْأَبْصَارِ .

فَاسْتَدْرَكَ الْجَهْمُ حُجَّةً مِثْلَ هَذِهِ الْحُجَّةِ, فَقَالَ لِلسَّمْنِيِّ .

---

١ -في ب: فهل رأيت عين إلهك .

٢ – في ب:فهل وجدت له مجلسًا.

٣ -في ب: الزنادقة .

٤ – سقطت من (أ) الله. فإذا أراد الله.

أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ فِيكَ رُوحًا .

قَالَ [1] نَعَمْ .

فَقَالَ هَلْ رَأَيْتَ رُوحُكَ .

قَالَ لَا .

قَالَ [2] فَسَمِعْتَ كَلَامَهُ .

قَالَ لَا .

قَالَ فَوَجَدْتَ [3] لَهُ حِسًّا [4] ؟.

قَالَ لَا .

قَالَ فَكَذَلِكَ اللَّهُ [5] لَا يُرَى لَهُ وَجْهٌ, وَلَا يُسْمَعُ لَهُ صَوْتٌ, وَلَا يُشَمُّ لَهُ رَائِحَةٌ, وَهُوَ غَائِبٌ عَنِ الْأَبْصَارِ, وَلَا يَكُونُ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ .

وَوَجَدَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنَ الْمُتَشَابِهِ [6] قَوْلَهُ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [7] [8] ، ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [9] ، ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [1] .

---

١ -في ب: فقال .

٢ – في ب: قال فهل سمعت.

٣ -في ب: فهل وجدت .

٤ – في ب: حسًا أو مجسًا.

٥ -في ب: الله تعالى .

٦ – في ب: من المتشابهات.

٧ -سورة الشورى آية : ١١ .

٨ –

٩ -سورة الأنعام آية : ٣ .

فَبَنَى أَصْلَ كَلَامِهِ [٢] عَلَى هَذِهِ [٣] الْآيَاتِ, وَتَأَوَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ, وَكَذَّبَ بِأَحَادِيثِ رَسُولِ [٤] اللَّهِ ﷺ وَزَعَمَ أَنَّ مَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِشَيْءٍ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ, أَوْ حَدَّثَ عَنْهُ رَسُولُهُ [٥] كَانَ كَافِرًا, وَكَانَ مِنَ الْمُشَبِّهَةِ, فَأَضَلَّ بِكَلَامِهِ [٦] بَشَرًا كَثِيرًا, وَتَبِعَهُ عَلَى قَوْلِهِ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ, [٧] وَأَصْحَابِ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ [٨] بِالْبَصْرَةِ, وَوَضَعَ دِينَ الْجَهْمِيَّةِ, فَإِذَا سَأَلَهُمُ النَّاسُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [٩] يَقُولُونَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ, وَهُوَ تَحْتَ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ, كَمَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ, وَلَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ, وَلَا [١٠] يَكُونُ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ, وَلَمْ يَتَكَلَّمْ, وَلَا يَتَكَلَّمُ, وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا, وَلَا [١١] فِي الْآخِرَةِ, وَلَا يُوصَفُ, وَلَا يُعْرَفُ بِصِفَةٍ, وَلَا يَفْعَلُ, وَلَا لَهُ غَايَةٌ,

---

١ – سورة الأنعام آية : ١٠٣.

٢ -في ب: أصل كلامه كله .

٣ – في ب: على هؤلاء الآيات.

٤ -في ب: النبي عليه السلام .

٥ – في ب: أو حدث عن النبي.

٦ -في ب: سقطت كلمة: بكلامه .

٧ – أبو حنيفة: أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي بالولاء الكوفي، أبو حنيفة، إمام الحنفية، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، قيل: أصله من أبناء فارس، وُلد ونشأ بالكوفة، أراده عمر بن هبيرة "أمير العراقيين" على القضاء فامتنع ورعًا، وأراده المنصور العباسي بعد ذلك على القضاء ببغداد فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل، فحسبه إلى أن مات. قال عنه الإمام مالك: "رأيت رجلا لو لكنه في هذه السارية أن يجعلها ذهبًا لقام بحجته". "وقال الشافعي عنه: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة". توفي ببغداد عام ١٥٠هـ.

٨ -عمرو بن عبيد ٨٠ – ١٤٤هـ: عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء، أبو عثمان البصري، شيخ المعتزلة في عصره، كان جده من سبي فارس، وأبوه نساجًا، ثم شرطيا للحجاج في البصرة، يقول عنه بعض العلماء بأنه مبتدع، وقال عنه يحيي بن معين: "كان من الدهرية الذين يقولون: إنما الناس مثل الزرع ."

٩ – سورة الشورى آية : ١١.

١٠ -في ب: ولا هو في مكان يكون في مكان دون مكان، و لم يتكلم، ولا يتكلم، ولا ينظر إليه أحد في الدنيا، ولا .

١١ – في الآخرة، ولا يوصف، ولا يعرف بصفة، ولا يفعل، ولا له غاية، ولا له.

وَلَا لَهُ [1] مُنْتَهًى, وَلَا يُدْرَكُ بِعَقْلٍ, وَهُوَ وَجْهٌ كُلُّهُ, وَهُوَ عِلْمٌ كُلُّهُ, وَهُوَ سَمْعٌ كُلُّهُ, وَهُوَ بَصَرٌ كُلُّهُ, وَهُوَ نُورٌ كُلُّهُ, وَهُوَ قُدْرَةٌ كُلُّهُ, وَلَا يَكُونُ فِيهِ شَيْئَانِ, وَلَا يُوصَفُ بِوَصْفَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ, وَلَيْسَ لَهُ أَعْلَى وَلَا أَسْفَلُ, وَلَا نَوَاحٍ وَلَا جَوَانِبُ, وَلَا يَمِينٌ, وَلَا شِمَالٌ, , وَلَا هُوَ خَفِيفٌ وَلَا ثَقِيلٌ, وَلَا لَهُ لَوْنٌ, وَلَا لَهُ جِسْمٌ, وَلَيْسَ هُوَ بِمَعْلُومٍ [2] وَلَا مَعْقُولٍ, وَكُلَّمَا خَطَرَ عَلَى [3] قَلْبِكَ أَنَّهُ شَيْءٌ تَعْرِفُهُ فَهُوَ عَلَى خِلَافِهِ .

١ -منتهى، ولا يدرك بعقل، وهو وجه كله، وهو علم كله، وهو سمع كله، وهو بصر كله، وهو نور كله، وهو قدرة كله، ولا يكون فيه شيئان، ولا يوصف بوصفين مختلفين، وليس له أعلى ولا أسفل، ولا نواح ولا جوانب، ولا يمين، ولا شمال، ولا هو خفيف ولا ثقيل، ولا له لون، ولا له جسم، وليس هو بمعلوم .

٢ - ولا معقول، وكلما خطر على.

٣ -

بَابُ بَيَانِ مَا ضَلَّتْ فِيهِ الزَّنَادِقَةُ مِنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ

قَالَ أَحْمَدُ وَقُلْنَا هُوَ شَيْءٌ؟ [1] .

فَقَالُوا هُوَ شَيْءٌ لَا كَالْأَشْيَاءِ فَقُلْنَا إِنَّ الشَّيْءَ الَّذِي لَا كَالْأَشْيَاءِ قَدْ عَرَفَ أَهْلُ الْعَقْلِ أَنَّهُ لَا شَيْءَ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ تَبَيَّنَ لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [2] بِشَيْءٍ, وَلَكِنْ يَدْفَعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ الشُّنْعَةَ بِمَا يُقِرُّونَ مِنَ الْعَلَانِيَةِ .

فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ فَمَنْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا نَعْبُدُ مِنْ يُدَبِّرُ أَمْرَ هَذَا الْخَلْقِ, فَقُلْنَا هَذَا الَّذِي يُدَبِّرَ أَمْرَ هَذَا الْخَلْقِ هُوَ مَجْهُولٌ لَا يُعْرَفُ بِصِفَةٍ .

قَالُوا نَعَمْ .

فَقُلْنَا قَدْ عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ [3] بِشَيْءٍ, إِنَّمَا [4] تَدْفَعُونَ عَنْ أَنْفُسِكُمُ الشَّنْعَةَ بِمَا تُظْهِرُونَهُ, فَقُلْنَا لَهُمْ هَذَا الَّذِي يُدَبِّرُ هُوَ الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى قَالُوا لَمْ يَتَكَلَّمْ وَلَا يُكَلِّمُ; لِأَنَّ الْكَلَامَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِجَارِحَةٍ, وَالْجَوَارِحُ مَنْفِيَّةٌ .

فَإِذَا سَمِعَ الْجَاهِلُ قَوْلَهُمْ يَظُنُّ أَنَّهُمْ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تَعْظِيمًا لِلَّهِ, وَلَا يَعْلَمُ [5] أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَعُودُ قَوْلُهُمْ إِلَى ضَلَالَةٍ [6] وَكُفْرٍ, وَلَا يَشْعُرُ أَنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ قَوْلَهُمْ إِلَّا فِرْيَةٌ فِي اللَّهِ .

---

١ – في ب: فهو شيء.

٢ -في ب: لا يثبتون شيئًا .

٣ – في ب: لا تثبتون شيئًا.

٤ -في ب: لا تدفعون .

٥ – في ب: ولا يشعر.

٦ -في ب: إلا فرية في الله .

فَمِمَّا يَسْأَلُ عَنْهُ يُقَالُ لَهُ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ آيَةً [١] تُخْبِرُ عَنِ الْقُرْآنِ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ؟ فَلَا يَجِدُ, فَيُقَالُ لَهُ فَتَجِدُهُ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ؟ فَلَا يَجِدُ فَيُقَالُ لَهُ فَمِنْ أَيْنَ [٢] قُلْتَ .

فَيَقُولُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [٣] .

وَزَعَمَ أَنَّ "جَعَلَ" بِمَعْنَى "خَلَقَ", فَكُلُّ مَجْعُولٍ هُوَ مَخْلُوقٌ, فَادَّعَى كَلِمَةً مِنَ الْكَلَامِ الْمُتَشَابِهِ يَحْتَجُّ بِهَا مَنْ أَرَادَ أَنْ يُلْحِدَ فِي تَنْزِيلِهِ, وَيَبْتَغِي الْفِتْنَةَ فِي تَأْوِيلِهَا, وَذَلِكَ أَنَّ "جَعَلَ" فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ عَلَى وَجْهَيْنِ عَلَى مَعْنَى التَّسْمِيَةِ, وَعَلَى مَعْنَى فِعْلٍ مِنْ أَفْعَالِهِمْ .

وَقَوْلُهُ: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [٤] .

قَالُوا هُوَ شِعْرٌ وَأَنْبَاءُ [٥] الْأَوَّلِينَ, وَأَضْغَاثُ أَحْلَامٍ, فَهَذَا عَلَى مَعْنَى التَّسْمِيَةِ .

قَالَ: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ [٦] .

يَعْنِي أَنَّهُمْ سَمَّوْهُمْ إِنَاثًا .

ثُمَّ ذَكَرَ "جَعَلَ" عَلَى [٧] مَعْنَى التَّسْمِيَةِ, فَقَالَ: ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ [٨] فَهَذَا عَلَى مَعْنَى فِعْلٍ مِنْ أَفْعَالِهِمْ .

---

١ – في ب: أنه يخبر.

٢ -في ب: فلما قلت .

٣ – سورة الزخرف آية : ٣.

٤ -سورة الحجر آية : ٩١ .

٥ – في ب: أساطير الأولين.

٦ -سورة الزخرف آية : ١٩ .

٧ -في ب: على غير معنى .

٨ – سورة البقرة آية : ١٩.

وَقَالَ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا ﴾ [١] هَذَا عَلَى مَعْنَى فَعَلَ, فَهَذَا جَعْلُ الْمَخْلُوقِينَ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَلَى مَعْنًى غَيْرِ خَلَقَ, لَا يَكُونُ إِلَّا خَلْقًا, وَلَا يَقُومُ إِلَّا مَقَامَ خَلَقَ خَلْقًا لَا يَزُولُ عَنْهُ الْمَعْنَى, وَإِذَا قَالَ اللَّهُ "جَعَلَ" عَلَى غَيْرِ مَعْنَى خَلَقَ, لَا يَكُونُ خَلَقَ, وَلَا يَقُومُ مَقَامَ خَلَقَ, وَلَا يَزُولُ عَنْهُ الْمَعْنَى .

فَمِمَّا [٢] قَالَ اللَّهُ "جَعَلَ" عَلَى مَعْنَى [٣] "خَلَقَ" قَوْلُهُ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [٤] يَعْنِي: وَخَلَقَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ .

وَقَالَ: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [٥] يَقُولُ وَخَلَقَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ .

وَقَالَ: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ﴾ [٦] وَيَقُولُ وَخَلَقْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ .

وَقَالَ: ﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [٧] .

وَقَالَ: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [٨] .

---

١ -سورة الكهف آية : ٩٦ .

٢ – في ب: فإذا قال الله تعالى.

٣ -في ب: على معنى غير .

٤ – سورة الأنعام آية : ١.

٥ -سورة النحل آية : ٧٨ .

٦ – سورة الإسراء آية : ١٢.

٧ -سورة نوح آية : ١٦ .

٨ – سورة الأعراف آية : ١٨٩.

يَقُولُ خَلَقَ [1] مِنْهَا زَوْجَهَا. يَقُولُ وَخَلَقَ مِنْ آدَمَ حَوَّاءَ وَقَالَ: ﴿ وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ ﴾ [2] [3] .

يَقُولُ وَخَلَقَ لَهَا رَوَاسِيَ, وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ, فَهَذَا -وَمَا كَانَ مِثْلُهُ- لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى مَعْنَى "خَلَقَ" .

ثُمَّ ذَكَرَ "جَعَلَ" عَلَى غَيْرِ مَعْنَى "خَلَقَ", قَوْلُهُ: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ ﴾ [4] لَا يَعْنِي "مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ" .

وَقَالَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [5] لَا يَعْنِي "إِنِّي خَالِقٌ لِلنَّاسِ إِمَامًا"; لِأَنَّ خَلْقَ إِبْرَاهِيمَ كَانَ مُتَقَدِّمًا .

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ [6] .

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [7] لَا يَعْنِي "اخْلُقْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ" .

وَقَالَ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [8] .

---

١ -في ب: وخلق منها .

٢ – سورة النمل آية : ٦١.

٣ -سقطت من (أ) ومثله في القرآن كثير .

٤ – سورة المائدة آية : ١٠٣.

٥ -سورة البقرة آية : ١٢٤ .

٦ – سورة إبراهيم آية : ٣٥.

٧ -سورة إبراهيم آية : ٤٠ .

٨ – سورة آل عمران آية : ١٧٦.

وَقَالَ لِأُمِّ مُوسَى: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ ﴾[1] .

لَا يَعْنِي "وَخَالِقُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ"; لِأَنَّ اللَّهَ [2] وَعَدَ أُمَّ مُوسَى أَنْ يَرُدَّهُ إِلَيْهَا, ثُمَّ يَجْعَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ رَسُولًا .

وَقَالَ: ﴿ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ﴾ [3] .

وَقَالَ: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ ﴾[4] .

وَقَالَ: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾[5] لَا يَعْنِي "وَخَلَقَهُ دَكًّا" .

وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ, فَهَذَا -وَمَا كَانَ عَلَى مِثَالِهِ- لَا يَكُونُ عَلَى مَعْنَى "خَلَقَ", فَإِذَا قَالَ اللَّهُ "جَعَلَ" عَلَى مَعْنَى "خَلَقَ", وَقَالَ "جَعَلَ" عَلَى غَيْرِ مَعْنَى "خَلَقَ", فَبِأَيِّ حُجَّةٍ قَالَ الْجَهْمِيُّ "جَعَلَ" عَلَى مَعْنَى "خَلَقَ" .

فَإِنْ رَدَّ الْجَهْمِيُّ الْجَعْلَ إِلَى الْمَعْنَى الَّذِي وَصَفَهُ اللَّهُ فِيهِ, وَإِلَّا كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ .

فَلَمَّا قَالَ اللَّهُ: [6]﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾[1] .

---

١ -سورة القصص آية : ٧ .

٢ - في ب: الله تعالى.

٣ -سورة الأنفال آية : ٣٧ .

٤ - سورة القصص آية : ٥.

٥ -سورة الأعراف آية : ١٤٣ .

٦ - في ب: الله عز وجل.

١ -سورة الزخرف آية : ٣ .

وَقَالَ: ﴿ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [1] .

وَقَالَ: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ [2] .

فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ عربيًّا, وَيَسَّرَهُ بِلِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ كَانَ ذَلِكَ فِعْلًا مِنْ أَفْعَالِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- جَعَلَ الْقُرْآنَ بِهِ عربيًّا, يَعْنِي: هَذَا بَيَانٌ لِمَنْ أَرَادَ هَدَاهُ اللَّهُ مُبَيَّنًا, وَلَيْسَ كَمَا زَعَمُوا مَعْنَاهُ أَنْزَلْنَاهُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ, وَقِيلَ بَيَّنَّاهُ .

ثُمَّ إِنَّ الْجَهْمَ ادَّعَى أَمْرًا آخَرَ, وَهُوَ مِنَ الْمُحَالِ, فَقَالَ "أَخْبِرُونَا عَنِ الْقُرْآنِ أَهُوَ اللَّهُ, أَوْ غَيْرُ اللَّهِ .

فَادَّعَى فِي الْقُرْآنِ أَمْرًا يُوهِمُ النَّاسَ, فَإِذَا سُئِلَ الْجَاهِلُ عَنِ الْقُرْآنِ [3] هُوَ اللَّهُ أَوْ غَيْرُ اللَّهِ؟ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَقُولَ بِأَحَدِ الْقَوْلَيْنِ .

فَإِنْ قَالَ هُوَ اللَّهُ قَالَ لَهُ الْجَهْمِيُّ كَفَرْتَ وَإِنْ قَالَ هُوَ غَيْرُ اللَّهِ قَالَ صَدَقْتَ, فَلِمَ لَا يَكُونُ غَيْرُ اللَّهِ مَخْلُوقًا؟ فَيَقَعُ فِي نَفْسِ الْجَاهِلِ مِنْ ذَلِكَ مَا يَمِيلُ بِهِ إِلَى قَوْلِ الْجَهْمِيِّ .

وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مِنَ الْجَهْمِيِّ مِنَ الْمَغَالِيطِ, فَالْجَوَابُ لِلْجَهْمِيِّ إِذَا سَأَلَ فَقَالَ أَخْبِرُونَا عَنِ الْقُرْآنِ هُوَ اللَّهُ أَوْ غَيْرُ اللَّهِ؟ قِيلَ لَهُ وَإِنَّ اللَّهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لَمْ يَقُلْ فِي الْقُرْآنِ إِنَّ الْقُرْآنَ أَنَا, وَلَمْ يَقُلْ غَيْرِي, وَقَالَ هُوَ كَلَامِي فَسَمَّيْنَاهُ بِاسْمٍ سَمَّاهُ اللَّهُ بِهِ, فَقُلْنَا [4] كَلَامُ اللَّهِ, فَمَنْ سَمَّى الْقُرْآنَ بِاسْمٍ [5] سَمَّاهُ اللَّهُ بِهِ كَانَ مِنَ الْمُهْتَدِينَ, وَمَنْ سَمَّاهُ بِاسْمٍ غَيْرِهِ [6] كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ .

---

١ -سورة الشعراء آية : ١٩٤ .

٢ - سورة مريم آية : ٩٧.

٣ -في ب: أهو الله .

٤ - في ب: فقلنا هو كلام الله.

٥ -في ب: بما سماه .

٦ - في ب: باسم من عنده.

وَقَدْ فَصَلَ اللَّهُ بَيْنَ قَوْلِهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ, وَلَمْ يُسَمِّهِ قَوْلًا ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ (١) .

فَلَمَّا قَالَ: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ ﴾ (٢) لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ إِلَّا كَانَ دَاخِلًا فِي ذَلِكَ, ثُمَّ ذَكَرَ مَا لَيْسَ بِخَلْقٍ, فَقَالَ: ﴿ وَٱلْأَمْرُ ﴾ (٣) فَأَمْرُهُ هُوَ قَوْلُهُ, تَبَارَكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ خَلْقًا .

وَقَالَ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (٤) ثُمَّ قَالَ: (٥)﴿ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ ﴾ (٦) .

وَقَالَ: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ ﴾ (٧) .

يَقُولُ لِلَّهِ الْقَوْلُ مِنْ قَبْلِ الْخَلْقِ, وَمِنْ بَعْدِ الْخَلْقِ, فَاللَّهُ يَخْلُقُ وَيَأْمُرُ, وَقَوْلُهُ غَيْرُ خَلْقِهِ .

وَقَالَ: ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ ﴾ (٨) .

وَقَالَ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ (٩) .

---

١ -سورة الأعراف آية : ٥٤ .

٢ – سورة الأعراف آية : ٥٤.

٣ -سورة الأعراف آية : ٥٤ .

٤ -سورة الدخان آية : ٣ .

٥ – في ب: عن القرآن.

٦ -سورة الدخان آية : ٥ .

٧ – سورة الروم آية : ٤.

٨ -سورة الطلاق آية : ٥ .

٩ – سورة هود آية : ٤٠.

بَيَانُ مَا فَصَلَ اللَّهُ بَيْنَ قَوْلِهِ وَخَلْقِهِ

وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ [1] -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- إِذَا سَمَّى الشَّيْءَ الْوَاحِدَ بِاسْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ أَسَامٍ فَهُوَ مُرْسَلٌ غَيْرُ مُنْفَصِلٍ [2] وَإِذَا سَمَّى شَيْئَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ لَا يَدْعُهُمَا مُرْسَلَيْنِ حَتَّى يَفْصِلَ بَيْنَهُمَا, مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ﴾ [3] .

فَهَذَا شَيْءٌ وَاحِدٌ سَمَّاهُ بِثَلَاثَةِ أَسَامٍ, وَهُوَ مُرْسَلٌ, وَلَمْ يَقُلْ إِنَّ لَهُ أَبًا وَشَيْخًا كَبِيرًا .

وَقَالَ: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ ﴾ [4] .

ثُمَّ قَالَ: ﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥ ﴾ [5] .

فَلَمَّا كَانَتْ الْبِكْرُ غَيْرَ الثَّيِّبِ, لَمْ يَدَعْهُ مُرْسَلًا حَتَّى فَصَلَ بَيْنَهُمَا, فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ وَأَبْكَارًا ۝٥ ﴾ [6]

وَقَالَ: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ [7] ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ ﴾ [1] فَلَمَّا كَانَ الْبَصِيرُ غَيْرَ الْأَعْمَى فَصَلَ بَيْنَهُمَا .

---

١ -في ب: الله تعالى .

٢ - سقطت من ألف كلمة "مقيد".

٣ -سورة يوسف آية : ٧٨ .

٤ -سورة التحريم آية : ٥ .

٥ - سورة التحريم آية : ٥.

٦ -سورة التحريم آية : ٥ .

٧ -سورة فاطر آية : ١٩ .

ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ ﴾ [٢] .

فَلَمَّا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَا الشَّيْءِ غَيْرَ الشَّيْءِ الْآخَرِ فَصَلَ بَيْنَهُمَا .

ثُمَّ قَالَ: ﴿ هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ ﴾ [٣]

فَهَذَا كُلُّهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ، فَهُوَ مُرْسَلٌ لَيْسَ بِمُفَصَّلٍ .

فَلِذَلِكَ إِذَا قَالَ اللَّهُ: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ ﴾ [٤] لِأَنَّ الْخَلْقَ غَيْرُ الْأَمْرِ, فَهُوَ مُنْفَصِلٌ [٥] .

بَيَانُ [٦] مَا أَبْطَلَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ إِلَّا وَحْيًا وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ

فَسَمَّى اللَّهُ الْقُرْآنَ وَحْيًا وَلَمْ يُسَمِّهِ خَلْقًا

قَوْلُهُ: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ ﴾ [٧] .

قَالَ وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا قَالُوا إِنَّ الْقُرْآنَ شِعْرٌ, وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ, وَقَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ, وَقَالُوا تَقَوَّلَهُ مُحَمَّدٌ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ, وَقَالُوا تَعَلَّمَهُ مِنْ غَيْرِهِ, فَأَقْسَمَ اللَّهُ [١] بِالنَّجْمِ إِذَا هَوَى, يَعْنِي الْقُرْآنَ إِذَا نَزَلَ,

---

١ -سورة فاطر آية : ١٩ .

٢ -سورة فاطر آية : ٢٠-٢١ .

٣ - سورة الحشر آية : ٢٣.

٤ -سورة الأعراف آية : ٥٤ .

٥ - في ب: انتهى.

٦ -في ب: باب .

٧ - سورة النجم آية : ١.

فَقَالَ: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ ﴾ [٢] يَعْنِي مُحَمَّدًا, ﴿ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾ [٣] .

يَقُولُ إِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَقُلْ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ فَقَالَ إِنْ هُوَ يَقُولُ مَا هُوَ -يَعْنِي الْقُرْآنَ- إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى .

فَأَبْطَلَ [٤] أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ شَيْئًا غَيْرَ الْوَحْيِ لِقَوْلِهِ: ﴿ إِنۡ هُوَ ﴾ [٥] يَقُولُ "مَا هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى", ثُمَّ قَالَ: ﴿ عَلَّمَهُۥ ﴾ [٦] يَعْنِي عَلَّمَ مُحَمَّدًا جِبْرِيلُ, ﷺ وَهُوَ ﴿ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ ﴾ [٧] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ ﴾ [٨] .

فَسَمَّى اللَّهُ الْقُرْآنَ وَحْيًا، وَلَمْ يُسَمِّهِ خَلْقًا .

ثُمَّ إِنَّ الْجَهْمَ ادَّعَى أَمْرًا آخَرَ, فَقَالَ أَخْبِرُونَا عَنِ الْقُرْآنِ هُوَ شَيْءٌ .

فَقُلْنَا نَعَمْ, هُوَ شَيْءٌ .

فَقَالَ "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ [٩] كُلَّ شَيْءٍ, فَلِمَ لَا يَكُونُ الْقُرْآنُ مَعَ الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ, وَقَدْ أَقْرَرْتُمْ أَنَّهُ شَيْءٌ .

---

١ -في ب: أقسم الله تعالى .

٢ - سورة النجم آية : ١.

٣ -سورة النجم آية : ٢ .

٤ - في ب: فأبطل الله.

٥ -سورة النجم آية : ٤ .

٦ - سورة النجم آية : ٥.

٧ -سورة النجم آية : ٥ .

٨ - سورة النجم آية : ١٠.

٩ -في ب: إن الله خالق .

فَلَعَمْرِي لَقَدِ ادَّعَى أَمْرًا أَمْكَنَهُ فِيهِ الدَّعْوَى, وَلَبَّسَ عَلَى النَّاسِ بِمَا ادَّعَى .

فَقُلْنَا إِنَّ اللَّهَ فِي الْقُرْآنِ لَمْ يُسَمِ كَلَامَهُ شَيْئًا, إِنَّمَا سُمِّيَ شَيْئًا الَّذِي كَانَ يَقُولُهُ, أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِهِ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى–: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ ﴾ (١) .

فَالشَّيْءُ لَيْسَ قَوْلُهُ إِنَّمَا الشَّيْءُ الَّذِي كَانَ بِقَوْلِهِ .

وَفِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا ﴾ (٢) .

فَالشَّيْءُ لَيْسَ هُوَ أَمْرَهُ, إِنَّمَا الشَّيْءُ الَّذِي كَانَ بِأَمْرِهِ .

وَمِنَ الْأَعْلَامِ وَالدَّلَالَاتِ أَنَّهُ لَا يَعْنِي كَلَامَهُ مَعَ الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ, قَالَ اللَّهُ لِلرِّيحِ الَّتِي أَرْسَلَهَا عَلَى عَادٍ: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ (٣) .

وَقَدْ أَتَتْ تِلْكَ الرِّيحُ عَلَى أَشْيَاءَ لَمْ تُدَمِّرْهَا مَنَازِلُهُمْ, وَمَسَاكِنُهُمْ, وَالْجِبَالُ الَّتِي بِحَضْرَتِهِمْ, فَأَتَتْ عَلَيْهَا تِلْكَ الرِّيحُ وَلَمْ تُدَمِّرْهَا, وَقَالَ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ .

فَكَذَلِكَ إِذَا قَالَ (٤) "خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ"؟ لَا يَعْنِي نَفْسَهُ, وَلَا عِلْمَهُ, وَلَا كَلَامَهُ مَعَ الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ .

وَقَالَ لِمَلِكَةِ سَبَأٍ: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٥) وَقَدْ كَانَ مُلْكُ سُلَيْمَانَ شَيْئًا وَلَمْ تُؤْتَهُ .

وَكَذَلِكَ إِذَا قَالَ "خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ" لَا يَعْنِي كَلَامَهُ مَعَ الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ .

وَقَالَ اللَّهُ لِمُوسَى: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ﴾ (٦) ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ (١) .

---

١ -سورة النحل آية : ٤٠ .

٢ – سورة يس آية : ٨٢.

٣ -سورة الأحقاف آية : ٢٥ .

٤ – في ب: فالله الله.

٥ -سورة النمل آية : ٢٣ .

٦ – سورة طه آية : ٤١.

وَقَالَ: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [٢] .

وَقَالَ: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾ [٣] .

ثُمَّ قَالَ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [٤] .

فَقَدْ عَرَفَ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَعْنِي نَفْسَهُ مَعَ الْأَنْفُسِ الَّتِي تَذُوقُ الْمَوْتَ, وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ كُلَّ نَفْسٍ, فَكَذَلِكَ إِذَا قَالَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ, لَا يَعْنِي نَفْسَهُ, وَلَا عِلْمَهُ, وَلَا كَلَامَهُ مَعَ الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ .

فَفِي هَذَا [٥] دَلَالَةٌ وَبَيَانٌ لِمَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ, فَرَحِمَ [٦] اللَّهُ مَنْ فَكَّرَ, وَرَجَعَ عَنِ الْقَوْلِ الَّذِي يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ, وَلَمْ يَقُلْ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ, فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَخَذَ مِيثَاقَ خَلْقِهِ, فَقَالَ: ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾ [٧] .

وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [٨] .

---

١ -سورة آل عمران آية : ٢٨ .

٢ – سورة الأنعام آية : ٥٤.

٣ -سورة المائدة آية : ١١٦ .

٤ – سورة آل عمران آية : ١٨٥.

٥ -في ب: ففي ما مر .

٦ – قال أحمد –رحمه الله–: "رحم الله من تفكر". سقطت من (أ).

٧ -سورة الأعراف آية : ١٦٩ .

٨ – سورة الأعراف آية : ٣٣.

فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ أَنْ يُقَالَ عَلَيْهِ الْكَذِبُ, وَقَدْ قَالَ: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ ﴾ (١) فَأَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ فِتَنِ الضَّالِّينَ .

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ كَلَامَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ, فَسَمَّاهُ كَلَامًا, وَلَمْ يُسَمِّهِ خَلْقًا .

قَوْلُهُ: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ ﴾ (٢) .

وَقَالَ: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ (٣) .

وَقَالَ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ (٤) .

وَقَالَ: ﴿ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى ﴾ (٥) .

وَقَالَ: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ (٦) .

وَقَالَ: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ ﴾ (٧) .

فَأَخْبَرَنَا اللَّهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ, وَبِكَلَامِ اللَّهِ .

وَقَالَ: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (٨) .

---

١ -سورة الزمر آية : ٦٠ .

٢ – سورة البقرة آية : ٣٧.

٣ -سورة البقرة آية : ٧٥ .

٤ -سورة الأعراف آية : ١٤٣ .

٥ -سورة الأعراف آية : ١٤٤ .

٦ – سورة النساء آية : ١٦٤.

٧ -سورة الأعراف آية : ١٥٨ .

٨ – سورة الفتح آية : ١٥.

وَقَالَ: ﴿ لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي ﴾ [1].

وَقَالَ: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [2] وَلَمْ يَقُلْ "حَتَّى يَسْمَعَ خَلْقَ اللَّهِ" .

فَهَذِهِ نُصُوصٌ [3] بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ, لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرٍ هُوَ مُبِينٌ [4] بِحَمْدِ اللَّهِ, وَقَدْ [5] سَأَلْتُ الْجَهْمِيَّةَ أَلَيْسَ إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ [6] .

﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾ [7] وَ: ﴿ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ ﴾ [8] ﴿ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ ﴾ [9] وَ: ﴿ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٦٤ ﴾ [10] .

وَقَالَ: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ ﴾ [11] وَقَالَ: ﴿ فَقُلۡ سَلَٰمٌ ﴾ [1] .

---

١ -سورة الكهف آية : ١٠٩ .

٢ – سورة التوبة آية : ٦.

٣ -في ب: فهذا منصوص .

٤ – في ب: هو بيِّن.

٥ -في ب: قال أحمد: وقد سألت الجهمي .

٦ – سورة البقرة آية : ١٣٦.

٧ -سورة البقرة آية : ٨٣ .

٨ – سورة العنكبوت آية : ٤٦.

٩ -سورة الأحزاب آية : ٧٠ .

١٠ -سورة آل عمران آية : ٦٤ .

١١ -سورة الكهف آية : ٢٩ .

وَلَمْ نَسْمَعِ اللَّهَ يَقُولُ قُولُوا إِنَّ كَلَامِي خَلْقٌ .

وَقَالَ: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ ﴾ [٢] .

وَقَالَ: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ [٣] وَ: ﴿ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ [٤] ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ ﴾ [٥] ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ [٦] ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ [٧] ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ [٨] ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ [٩] ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [١٠] ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ

---

١ – سورة الأنعام آية : ٥٤.

٢ -سورة النساء آية : ١٧١ .

٣ – سورة النساء آية : ٩٤.

٤ -سورة البقرة آية : ١٠٤ .

٥ – سورة آل عمران آية : ١٦٩.

٦ -سورة الكهف آية : ٢٣ .

٧ – سورة الإسراء آية : ٢٣.

٨ -سورة القصص آية : ٨٨ .

٩ – سورة الأنعام آية : ١٥١.

١٠ -سورة الإسراء آية : ٢٩ .

﴿ [1] ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [2] ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [3] وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ .

فَهَذَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ, وَلَمْ يَقُلْ لَنَا لَا تَقُولُوا إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامِي .

الْمَلَائِكَةُ سَمَّتْ كَلَامَ اللَّهِ كَلَامًا وَلَمْ تُسَمِّهِ خَلْقًا

وَقَدْ سَمَّتِ الْمَلَائِكَةُ كَلَامَ اللَّهِ كَلَامًا, وَلَمْ تُسَمِّهِ خَلْقًا قَوْلُهُ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ [4] .

وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ يَسْمَعُوا صَوْتَ الْوَحْيِ مَا بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ ﷺ وَبَيْنَهُمَا كَذَا وَكَذَا سَنَةً .

فَلَمَّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ سَمِعَ الْمَلَائِكَةُ صَوْتَ الْوَحْيِ كَوَقْعِ الْحَدِيدِ عَلَى الصَّفَا, فَظَنُّوا أَنَّهُ أَمْرٌ [5] مِنَ السَّاعَةِ, فَفَزِعُوا وَخَرُّوا لِوُجُوهِهِمْ سُجَّدًا, فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ [6] .

---

١ – سورة الأنعام آية : ١٥١.

٢ -سورة الأنعام آية : ١٥٢ .

٣ – سورة الإسراء آية : ٣٧.

٤ -سورة سبأ آية : ٢٣ .

٥ -سقط من (أ) أمر من أمر الساعة .

٦ – سورة سبأ آية : ٢٣.

يَقُولُ حَتَّى إِذَا انْجَلَى الْفَزَعُ عَنْ قُلُوبِهِمْ رَفَعَ الْمَلَائِكَةُ رُءُوسَهُمْ, فَسَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَقَالُوا: ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ [1] وَلَمْ يَقُولُوا مَاذَا خَلَقَ رَبُّكُمْ, فَهَذَا بَيَانٌ لِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ هُدَاهُ [2] .

ثُمَّ: [3] إِنَّ الْجَهْمَ ادَّعَى أَمْرًا آخَرَ, فَقَالَ "أَنَا أَجِدُ آيَةً فِي كِتَابِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ .

فَقُلْنَا فِي أَيِّ آيَةٍ [4] ؟ فَقَالَ: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [5] .

فَزَعَمَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ الْقُرْآنُ مُحْدَثٌ, وَكُلُّ مُحْدَثٍ مَخْلُوقٌ .

فَلَعَمْرِي, لَقَدْ شُبِّهَ عَلَى النَّاسِ بِهَذَا, وَهِيَ آيَةٌ مِنَ الْمُتَشَابِهِ, فَقُلْنَا فِي ذَلِكَ قَوْلًا, وَاسْتَعَنَّا بِاللَّهِ, وَنَظَرْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ, وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

قَالَ أَحْمَدُ ﷺ "اعْلَمْ أَنَّ الشَّيْئَيْنِ إِذَا اجْتَمَعَا فِي اسْمٍ [6] يَجْمَعُهُمَا, فَكَانَ أَحَدُهُمَا أَعْلَى مِنَ الْآخَرِ, ثُمَّ جَرَى عَلَيْهِمَا اسْمُ مَدْحٍ, فَكَانَ أَعْلَاهُمَا أَوْلَى بِالْمَدْحِ وَأَغْلَبَ عَلَيْهِ, وَإِنْ جَرَى عَلَيْهِ اسْمُ ذَمٍّ فَأَدْنَاهُمَا أَوْلَى بِهِ, وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ -تَعَالَى- فِي كِتَابِهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [7] ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ [8] يَعْنِي: الْأَبْرَارَ دُونَ الْفُجَّارِ, فَإِذَا اجْتَمَعُوا فِي اسْمِ الْإِنْسَانِ وَاسْمِ

---

١ -سورة سبأ آية : ٢٣ .

٢ - في النسخة ب: باب آخر.

٣ -سقط من (أ) قال أحمد ثم إن الجهم .

٤ - سقط من (أ) قال أحمد رضي الله عنه.

٥ -سورة الأنبياء آية : ٢ .

٦ -سقطت من ب: في اسم يجمعها .

٧ -سورة البقرة آية : ١٤٣ .

٨ -سورة الإنسان آية : ٦ .

الْعِبَادِ, فَالْمَعْنَى [1] فِي قَوْلِ اللَّهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ [2] يَعْنِي: الْأَبْرَارَ دُونَ الْفُجَّارِ, لِقَوْلِهِ إِذَا انْفَرَدَ الْأَبْرَارُ: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [3] .

وَإِذَا انْفَرَدَ الْفُجَّارُ: ﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [4] .

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [5] .

فَالْمُؤْمِنُ أَوْلَى بِهِ وَإِنِ اجْتَمَعَا فِي اسْمِ [6] النَّاسِ; لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا انْفَرَدَ أُعْطِيَ الْمِدْحَةَ لِقَوْلِهِ: [7] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [8] ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [9] .

---

١ -في ب: فالمعنى به .

٢ - سورة الإنسان آية : ٦.

٣ -سورة الانفطار آية : ١٣ .

٤ - سورة الانفطار آية : ١٤.

٥ -سورة البقرة آية : ١٤٣ .

٦ - في ب: أحد.

٧ -في ب: لقول الله تعالى .

٨ - سورة البقرة آية : ١٤٣.

٩ -سورة الأحزاب آية : ٤٣ .

وَإِذَا انْفَرَدَ الْكُفَّارُ جَرَى عَلَيْهِمُ [١] الذَّمُّ فِي قَوْلِهِ ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [٢] وَقَالَ ﴿ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [٣] فَهَؤُلَاءِ لَا يَدْخُلُونَ فِي الرَّحْمَةِ .

وَفِي قَوْلِهِ ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [٤] .

فَاجْتَمَعَ الْكَافِرُ [٥] وَالْمُؤْمِنُ فِي اسْمِ الْعَبْدِ [٦] وَالْكَافِرُ أَوْلَى بِالْبَغْيِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ; لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ انْفَرَدُوا وَمُدِحُوا فِيمَا بُسِطَ لَهُمْ مِنْ الرِّزْقِ, وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ ﴾ [٧] .

وَقَوْلُهُ ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [٨] .

١ – في ب: اسم الذم الذم في قوله: أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ وقال أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ فهؤلاء لا يدخلون في الرحمة. وفي قوله: وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ فاجتمع الكافر.

٢ -سورة هود آية : ١٨ .

٣ – سورة المائدة آية : ٨٠.

٤ -سورة الشورى آية : ٢٧ .

٥ – والمؤمن في اسم العبد.

٦ -والكافر أولى بالبغي من المؤمنين؛ لأن المؤمنين انفردوا ومدحوا فيما بسط لهم من الرزق، وهو قوله: وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ١٢١ وقوله: وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وقد بسط .

٧ – سورة الفرقان آية : ٦٧.

٨ -سورة البقرة آية : ٣ .

وَقَدْ بُسِطَ [١] الرِّزْقُ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ, وَلِذِي الْقَرْنَيْنِ [٢] . وَأَبِي بَكْرٍ, وَعُمَرَ, وَمَنْ [٣] كَانَ عَلَى مِثَالِهِمْ مِمَّنْ بُسِطَ [٤] لَهُ فَلَمْ يَبْغِ"

وَإِذَا انْفَرَدَ الْكَافِرُ وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ الْبَغْيِ فِي قَوْلِهِ لِقَارُونَ: ﴿ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [٥] .

وَنَمْرُودُ بْنُ كَنْعَانَ حِينَ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ, فَحَاجَّ فِي رَبِّهِ وَفِرْعَوْنُ حِينَ قَالَ مُوسَى ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلاً فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [٦] .

فَلَمَّا اجْتَمَعُوا فِي الِاسْمِ الْوَاحِدِ, فَجَرَى عَلَيْهِمُ اسْمُ الْبَغْيِ, كَانَ الْكُفَّارُ [٧] أَوْلَى بِهِ كَمَا [٨] أَنَّ الْمُؤْمِنَ أَوْلَى بِالْمَدْحِ, فَلَمَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [٩] .

---

١ – الرزق لسليمان بن داود، ولذي القرنين.

٢ . -وأبي بكر، وعمر، ومن .

٣ – كان على مثالهم ممن بسط.

٤ -له فلم يبغ". وإذا انفرد الكافر وقع عليه اسم البغي في قوله لقارون: فَبَغَى عَلَيْهِمْ ونمرود بن كنعان حين آتاه الله الملك، فحاج في ربه. وفرعون حين قال موسى: رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فلما اجتمعوا في الاسم الواحد، فجرى عليهم اسم البغي، كان الكفار .

٥ – سورة القصص آية : ٧٦.

٦ -سورة يونس آية : ٨٨ .

٧ – أولى به كما.

٨ -أن المؤمن أولى بالمدح، فلما قال الله تعالى: مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ فجمع بين ذكرين: ذكر الله، وذكر نبيه، فأما ذكر الله إذا انفرد لم يجر عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله: وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ ١٢٢ وإذا انفرد ذكر النبي –صلى الله عليه وسلم– فإنه جرى عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله: وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ فذكر النبي –صلى الله عليه وسلم– له عمل، والله له خالق محدث، والدلالة على أنه جمع بين ذكرين .

٩ – سورة الأنبياء آية : ٢.

فَجَمَعَ بَيْنَ ذِكْرَيْنِ ذِكْرِ اللَّهِ, وَذِكْرِ نَبِيِّهِ, فَأَمَّا ذِكْرُ اللَّهِ إِذَا انْفَرَدَ لَمْ يَجْرِ عَلَيْهِ اسْمُ الْحَدَثِ, أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [1] .

﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ ﴾ [2] .

وَإِذَا انْفَرَدَ ذِكْرُ النَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّهُ جَرَى عَلَيْهِ اسْمُ الْحَدَثِ, أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [3] .

فَذِكْرُ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ عَمَلٌ, وَاللَّهُ لَهُ خَالِقٌ مُحْدَثٌ, وَالدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ ذِكْرَيْنِ [4] لِقَوْلِهِ ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [5] فَأَوْقَعَ عَلَيْهِ الْحَدَثَ عَنْهُ إِتْيَانُهُ إِيَّانَا, وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَأْتِينَا بِالْأَنْبَاءِ [6] إِلَّا مُبَلِّغٌ وَمُذَكِّرٌ .

وَقَالَ اللَّهُ ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [7] .

---

١ -سورة العنكبوت آية : ٤٥ .

٢ – سورة الأنبياء آية : ٥٠.

٣ -سورة الصافات آية : ٩٦ .

٤ – لقوله: مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ فأوقع عليه الحدث عنه إتيانه إيانا، وأنت تعلم أنه لا يأتينا بالأنباء.

٥ -سورة الأنبياء آية : ٢ .

٦ – إلا مبلغ ومذكر. وقال الله: وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ فلما اجتمعوا في اسم الذكر، جرى عليهم اسم الحدث، وذكر.

٧ -سورة الذاريات آية : ٥٥ .

﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ ﴾ [1] ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ ﴾ [2] ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ ﴾ [3] .

فَلَمَّا اجْتَمَعُوا فِي اسْمِ الذِّكْرِ, جَرَى عَلَيْهِمْ اسْمُ الْحَدَثِ, وَذِكْرُ [4] النَّبِيِّ إِذَا انْفَرَدَ وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ الْخَلْقِ, وَكَانَ أَوْلَى بِالْحَدَثِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ [5] الَّذِي إِذَا انْفَرَدَ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ اسْمُ خَلْقٍ, وَلَا حَدَثٍ, فَوَجَدْنَا دَلَالَةً مِنْ قَوْلِ اللَّهِ ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [6] إِلَى [7] النَّبِيِّ ﷺ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَعْلَمُ فَعَلَّمَهُ اللَّهُ, فَلَمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ كَانَ ذَلِكَ مُحْدَثًا إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ إِنَّ الْجَهْمَ ادَّعَى أَمْرًا آخَرَ, فَقَالَ إِنَّا وَجَدْنَا [8] آيَةً فِي كِتَابِ اللَّهِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقُلْنَا أَيُّ آيَةٍ [9] ؟ فَقَالَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ﴾ [10] وَعِيسَى مَخْلُوقٌ .

---

١ – سورة الأعلى آية : ٩.

٢ -سورة الأعلى آية : ٩ .

٣ -سورة الغاشية آية : ٢١ .

٤ -النبي إذا انفرد وقع عليه اسم الخلق، وكان أولى بالحدث من ذكر الله .

٥ – الذي إذا انفرد لم يقع عليه اسم خلق، ولا حدث، فوجدنا دلالة من قول الله: مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إلى.

٦ -سورة الأنبياء آية : ٢ .

٧ –

٨ -في ب: أنا أجد .

٩ – سقطت من ب: فقلنا أي آية.

١٠ -سورة النساء آية : ١٧١ .

فَقُلْنَا إِنَّ اللَّهَ مَنَعَكَ الْفَهْمَ فِي الْقُرْآنِ [1] عِيسَى تَجْرِي عَلَيْهِ أَلْفَاظٌ لَا تَجْرِي عَلَى الْقُرْآنِ, لِأَنَّهُ يُسَمِّيهِ مَوْلُودًا وَطِفْلاً وصَبِيًّا وَغُلَامًا يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ, وَهُوَ مُخَاطَبٌ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ, يَجْرِي عَلَيْهِ اسْمُ الْخِطَابِ وَالْوَعْدِ [2] وَالْوَعِيدِ, ثُمَّ هُوَ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ, وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ, وَلَا يَحِلُّ لَنَا أَنْ نَقُولَ فِي الْقُرْآنِ مَا نَقُولُ فِي عِيسَى, هَلْ سَمِعْتُمُ اللَّهَ يَقُولُ فِي الْقُرْآنِ مَا قَالَ فِي عِيسَى؟ وَلَكِنَّ الْمَعْنَى مِنْ [3] قَوْلِ اللَّه -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ [4]

.

١ - في ب: أن عيسى.

٢ -سقطت من ب: كلمة الوعد .

٣ - في ب: في بدلا من: من.

٤ - سورة النساء آية : ١٧١.

الْمَلَائِكَةُ سَمَّتْ كَلَامَ اللَّهِ كَلَامًا وَلَمْ تُسَمِّهِ خَلْقًا

فَالْكَلِمَةُ الَّتِي أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ حِينَ قَالَ لَهُ "كُنْ", فَكَانَ عِيسَى "بِكُنْ", وَلَيْسَ عِيسَى هُوَ "الكُنْ", وَلَكِنْ بِـ"الكُنْ" كَانَ, فـ"الكُنْ" مِنْ [1] اللَّهِ قَوْلٌ, وَلَيْسَ الْكُنْ مَخْلُوقًا .

وَكَذَبَ النَّصَارَى [2] والْجَهْمِيَّةُ عَلَى اللَّهِ فِي أَمْرِ عِيسَى, وَذَلِكَ أَنَّ الْجَهْمِيَّةَ قَالُوا "عِيسَى رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ; لِأَنَّ الْكَلِمَةَ مَخْلُوقَةٌ وَقَالَتِ النَّصَارَى عِيسَى رُوحُ اللَّهِ مِنْ ذَاتِ اللَّهِ, وَكَلِمَتُهُ مِنْ ذَاتِ [3] اللَّهِ كَمَا يُقَالُ إِنَّ هَذِهِ الْخِرْقَةَ مِنْ هَذَا الثَّوْبِ, وَقُلْنَا نَحْنُ: إِنَّ عِيسَى بِالْكَلِمَةِ كَانَ, وَلَيْسَ عِيسَى هُوَ الْكَلِمَةَ .

وَأَمَّا [4] قَوْلُ اللَّهِ: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [5] يَقُولُ مِنْ أَمْرِهِ كَانَ الرُّوحُ فِيهِ كَقَوْلِهِ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [6] .

يَقُولُ "مِنْ أَمْرِهِ" وَتَفْسِيرُ "رُوحِ اللَّهِ" إِنَّمَا مَعْنَاهَا أَنَّهَا رُوحٌ بِكَلِمَةِ اللَّهِ خَلَقَهَا اللَّهُ, كَمَا يُقَالُ عَبْدُ اللَّهِ, وَسَمَاءُ اللَّهِ, وَأَرْضُ اللَّهِ .

---

١ -في ب: الكن من قول الله .

٢ -النصارى جمع، واحده: نصراني، وقيل نصران بإسقاط الياء، والأنثى نصرانة، سموا بذلك لقرية تسمى ناصرة كان ينزلها عيسى -عليه السلام-، فنُسِب إليها، فقيل: عيسى الناصري، مثلما نُسب أصحابه إليه، قيل النصارى، قال ابن عباس وقتادة والجوهري: ونصران قرية بالشام ينسب إليها النصارى، ويقال: ناصرة، وقيل: سموا بذلك لنصرة بعضهم بعضًا. "تفسير القرطبي" جـ ١، ص ٤٣٤ .

٣ - في ب: وكلمة الله في ذات الله.

٤ -في ب: وإنما الكلمة قول الله .

٥ - سورة النساء آية : ١٧١.

٦ -سورة الجاثية آية : ١٣ .

ثُمَّ إِنَّ الْجَهْمَ ادَّعِي أَمْرًا آخَرَ, فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [1] .

فَزَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ فِي السَّمَاوَاتِ, أَوْ فِي الْأَرْضِ, أَوْ فِيمَا بَيْنَهُمَا, فَشَبَّهَ عَلَى النَّاسِ, وَلَبَّسَ عَلَيْهِمْ .

فَقُلْنَا لَهُ أَلَيْسَ إِنَّمَا وَقَّعَ اللَّهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- الْخَلْقَ وَالْمَخْلُوقَ عَلَى مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهَا؟ فَقَالُوا نَعَمْ .

فَقُلْنَا هَلْ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ .

قَالُوا نَعَمْ .

فَقُلْنَا فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ مَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ مَعَ [2] الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ, وَقَدْ عَرَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ الْكُرْسِيَّ, وَالْعَرْشَ, وَاللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ, وَالْحُجُبَ وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةً لَمْ يُسَمِّهَا, وَلَمْ يَجْعَلْهَا مَعَ الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ, وَإِنَّمَا وَقَعَ الْخَبَرُ مِنَ اللَّهِ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا .

وَقُلْنَا فِيمَا ادَّعَوْا أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِيمَا بَيْنَهُمَا, فَقُلْنَا اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَقُولُ: ﴿ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [3] .

فَالَّذِي خَلَقَ بِهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَدْ كَانَ [4] قَبْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ, وَالْحَقُّ الَّذِي خَلَقَ بِهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ هُوَ قَوْلُهُ; لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ الْحَقَّ, وَقَالَ: ﴿ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ ﴾ [5] .

---

١ - سورة الفرقان آية : ٥٩.

٢ -في ب: من بدلا من مع .

٣ - سورة الروم آية : ٨.

٤ -في ب: هو قوله كن .

٥ - سورة ص آية : ٨٤.

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ ﴾ [1] .

فَالْحَقُّ الَّذِي خَلَقَ بِهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَدْ كَانَ قَبْلَ [2] السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْحَقُّ قَوْلُهُ, وَلَيْسَ [3] قَوْلُهُ مَخْلُوقًا .

بَيَانُ مَا جَحَدَتْ الْجَهْمِيَّةُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ " وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ"

بَيَانُ [4] مَا جَحَدَتْ الْجَهْمِيَّةُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ-: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [5] .

قَالَ أَحْمَدُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فَقُلْنَا لَهُمْ لِمَ أَنْكَرْتُمْ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ .

فَقَالُوا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَبِّهِ; لِأَنَّ الْمَنْظُورَ إِلَيْهِ مَعْلُومٌ [6] مَوْصُوفٌ لَا يُرَى إِلَّا شَيْءٌ يَفْعَلُهُ [7] .

فَقُلْنَا أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [8] .

---

١ -سورة الأنعام آية : ٧٣ .

٢ -في ب: قبل خلق .

٣ -في ب: وقوله ليس بمخلوق .

٤ -في ب: باب بيان .

٥ -سورة القيامة آية : ٢٢ .

٦ -في ب: معدود .

٧ -في ب: لا يرى الأشياء بفعله .

٨ -سورة القيامة آية : ٢٢ .

فَقَالُوا إِنَّ مَعْنَى "إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ" أَنَّهَا تَنْتَظِرُ الثَّوَابَ مِنْ رَبِّهَا, وَإِنَّمَا يَنْظُرُونَ إِلَى فِعْلِهِ وَقُدْرَتِهِ, وَتَلَوْا آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ (١) .

فَقَالُوا إِنَّهُ (٢) حِينَ قَالَ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ (٣) أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا رَبَّهُمْ, وَلَكِنَّ الْمَعْنَى "أَلَمْ تَرَ إِلَى فِعْلِ رَبِّكَ" .

فَقُلْنَا إِنَّ فِعْلَ اللَّهِ لَمْ يَزَلِ الْعِبَادُ يَرَوْنَهُ, وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾ (٤) فَقَالُوا: إِنَّمَا تَنْظُرُ الثَّوَابَ مِنْ رَبِّهَا .

فَقُلْنَا إِنَّهَا مَعَ مَا تَنْتَظِرُ الثَّوَابَ هِيَ تَرَى رَبَّهَا فَقَالُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُرَى فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ, وَتَلَوْا آيَةً مِنَ الْمُتَشَابِهِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ (٥) .

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْرِفُ مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ (٦) وَقَالَ: ﴿ إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ ﴾ (٧) .

---

١ -سورة الفرقان آية : ٤٥ .

٢ -سقطت إنه من: ب .

٣ - سورة الفرقان آية : ٤٥.

٤ -سورة القيامة آية : ٢٢ .

٥ - سورة الأنعام آية : ١٠٣.

٦ -سورة الأنعام آية : ١٠٣ .

٧ -أخرجه الإمام البخاري ومسلم والترمذي .

وَقَالَ لِمُوسَى: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [1] وَلَمْ يَقُلْ [2] "لَنْ أُرَى", فَأَيَّهُمَا أَوْلَى أَنْ نَتْبَعَ؟ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ ﴾ أَوْ قَوْلَ الْجَهْمِيِّ حِينَ قَالَ "لَا تَرَوْنَ رَبَّكُمْ" .

وَالْأَحَادِيثُ فِي أَيْدِي أَهْلِ الْعِلْمِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ لَا يَخْتَلِفُ فِيهَا أَهْلُ الْعِلْمِ .

وَمِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ [3] عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ [4] عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [5] قَالَ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ .

وَمِنْ حَدِيثِ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ [6] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى [7] قَالَ إِذَا اسْتَقَرَّ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ نَادَى مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ, إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ فِي الزِّيَادَةِ قَالَ فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ, فَيَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .

---

١ – سورة الأعراف آية : ١٤٣.

٢ -في ب: لم أر .

٣ -سُفْيَان بْن عُيَيْنَة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي، سكن مكة، وقيل: إن أبوه عيينة هو المكي، روى عن عبد الله وابن عمير، وأبي إسحاق السبيعي، قال العجلي عنه: ثقة ثبت في الحديث. وقال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحديث. مات عام ١٩٨هـ .

٤ – أَبُو إِسْحَاق الشَّيْبَانِيُّ سليمان بن فيروز، سمع عبد الله بن أبي أوفى وجماعة، توفي سنة ١٤١هـ رحمه الله، "تهذيب التهذيب" لابن حجر العسقلاني جـ ١.

٥ -سورة يونس آية : ٢٦ .

٦ – ثابت بن مسلم البناني أبو محمد البصري، روى عن أنس وابن الزبير وابن عمر، قال البخاري عن ابن المديني: له نحو مائتين وخمسين حديثًا. قال شعبة: كان ثابت يقرأ القرآن في كل يوم وليلة.

٧ -واسمه يسار، وُلد لِستٍ بَقِين من خلافة عمر، قال عبد الملك بن عمير: لقد رأيت عبد الرحمن في حلقة فيها نفر من الصحابة، فيهم البراء بن مالك، يسمعون لحديثه، توفي سنة ٨٣هـ، "تهذيب التهذيب" جـ ٧ .

وَإِنَّا [1] لَنَرْجُو أَنْ يَكُونَ الْجَهْمُ وَشِيعَتُهُ مِمَّنْ لَا يَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ, وَيُحْجَبُونَ عَنِ اللَّهِ; لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ [2] لِلْكُفَّارِ: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [3] فَإِذَا كَانَ الْكَافِرُ يُحْجَبُ عَنِ اللَّهِ, وَالْمُؤْمِنُ يُحْجَبُ عَنْ اللَّهِ, فَمَا فَضْلُ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْكَافِرِ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْنَا مِثْلَ جَهْمٍ وَشِيعَتِهِ, وَجَعَلَنَا مِمَّنْ اتَّبَعَ, وَلَمْ يَجْعَلْنَا مِمَّنْ ابْتَدَعَ, وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ .

بَيَانُ [4] مَا أَنْكَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ مِنْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ كَلَّمَ مُوسَى

فَقُلْنَا [5] لِمَ أَنْكَرْتُمْ ذَلِكَ؟ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَكَلَّمْ وَلَا يَتَكَلَّمُ, إِنَّمَا كَوَّنَ شَيْئًا فَعبَّرَ عَنِ اللَّهِ, وَخَلَقَ صَوْتًا فَأَسْمَعَ, وَزَعَمُوا أَنَّ الْكَلَامَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ جَوْفٍ [6] وَلِسَانٍ وَشَفَتَيْنِ, فَقُلْنَا: هَلْ يَجُوزُ لِمُكَوَّنٍ أَوْ غَيْرِ اللَّهِ أَنْ يَقُولَ: ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ [7] .

أَوْ يَقُولَ: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ [1] فَمَنْ زَعَمَ ذَلِكَ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ غَيْرَ اللَّهِ ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ, كَمَا زَعَمَ الْجَهْمُ أَنَّ اللَّهَ كَوَّنَ شَيْئًا؛ كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ الْمُكَوَّنُ .

---

١ – في ب: قال أحمد –رضي الله عنه– وأنا أرجو.

٢ -في ب: يقول للكفار .

٣ – سورة المطففين آية : ١٥.

٤ -في ب: باب بيان .

٥ – في ب: قال أحمد –رضي الله عنه–.

٦ -في ب: من جوف وفم ولسان .

٧ – سورة طه آية : ١١.

﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [٢] وَقَدْ قَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [٣] وَقَالَ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [٤] .

وَقَالَ: ﴿ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ [٥] .

فَهَذَا مَنْصُوصُ الْقُرْآنِ, فَأَمَّا مَا قَالُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يَتَكَلَّمُ, فَكَيْفَ يَصْنَعُونَ بِحَدِيثِ الْأَعْمَشِ [٦] عَنْ خَيْثَمَةَ, عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ [٧] الطَّائِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ ﴾ .

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ "إِنَّ الْكَلَامَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ جَوْفٍ وَفَمٍ وَشَفَتَيْنِ وَلِسَانٍ" أَلَيْسَ اللَّهُ قَالَ لِلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ: ﴿ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [٨] أَتَرَاهَا أَنَّهَا قَالَتْ بِجَوْفٍ وَفَمٍ وَشَفَتَيْنِ وَلِسَانٍ وَأَدَوَاتٍ .

---

١ -سورة طه آية : ١٤ .

٢ - سورة القصص آية : ٣٠.

٣ -سورة النساء آية : ١٦٤ .

٤ - سورة الأعراف آية : ١٤٣.

٥ -سورة الأعراف آية : ١٤٤ .

٦ - الأعمش أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي، توفي سنة ١٤٨هـ، من أهل الحديث بالكوفة.

٧ -قال فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه". وقام عدي على عمر بن الخطاب فقال: ما أظنك تعرفني. فقال: كيف لا أعرفك وأول صدقة يبيض وجه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صدقة طي؟ أعرفك أقبلت إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفيت إذ غدروا. مات بالكوفة سنة سبع وستين أيام المختار .

٨ -سورة فصلت آية : ١١ .

وَقَالَ: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ ﴾ [1] أَتَرَاهَا سَبَّحَتْ بِجَوْفٍ وَفَمٍ وَلِسَانٍ وَشَفَتَيْنِ وَالْجَوَارِحُ إِذْ شَهِدَتْ عَلَى الْكَافِرِ فَقَالُوا ﴿ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [2] .

أَتَرَاهَا أَنَّهَا نَطَقَتْ بِجَوْفٍ وَفَمٍ وَلِسَانٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنْطَقَهَا كَيْفَ شَاءَ, وَكَذَلِكَ اللَّهُ تَكَلَّمَ كَيْفَ شَاءَ, مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقُولَ بِجَوْفٍ وَلَا فَمٍ وَلَا شَفَتَيْنِ وَلَا لِسَانٍ .

قَالَ أَحْمَدُ ﷺ فَلَمَّا خَنَقَتْهُ الْحُجَّةُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ كَلَّمَ مُوسَى, إِلَّا أَنَّ كَلَامَهُ غَيْرُهُ فَقُلْنَا وَغَيْرُهُ مَخْلُوقٌ؟ قَالَ نَعَمْ فَقُلْنَا هَذَا مِثْلُ قَوْلِكُمْ الْأَوَّلِ, إِلَّا أَنَّكُمْ تَدْفَعُونَ عَنْ أَنْفُسِكُمْ الشُّنْعَةَ بِمَا تُظْهِرُونَ .

وَحَدِيثُ الزُّهْرِيِّ قَالَ لَمَّا سَمِعَ مُوسَى كَلَامَ رَبِّهِ قَالَ يَا رَبِّ, هَذَا الَّذِي سَمِعْتُهُ هُوَ كَلَامُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا مُوسَى هُوَ كَلَامِي, إِنَّمَا كَلَّمْتُكَ [3] عَلَى قَدْرِ مَا يُطِيقُ بَدَنُكَ, وَلَوْ كَلَّمْتُكَ بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ لَمِتَّ .

قَالَ فَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ قَالُوا لَهُ صِفْ لَنَا كَلَامَ رَبِّكَ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ! وَهَلْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصِفَهُ لَكُمْ؟ قَالُوا: فَشَبِّهْهُ. قَالَ: هَلْ سَمِعْتُمْ أَصْوَاتَ الصَّوَاعِقِ الَّتِي تُقْبِلُ فِي أَحْلَى حَلَاوَةٍ سَمِعْتُمُوهَا؟ فَكَأَنَّهُ مِثْلُهُ" .

وَقُلْنَا لِلْجَهْمِيَّةِ مَنِ الْقَائِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [4] .

أَلَيْسَ اللَّهُ هُوَ الْقَائِلُ .

---

١ – سورة الأنبياء آية : ٧٩.

٢ -سورة فصلت آية : ٢١ .

٣ – في ب: إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولي قوة الألسن كلها، وأنا أقوى من ذلك، وإنما كلمتك بقدر ما تطيق.

٤ -سورة المائدة آية : ١١٦ .

قَالُوا فَيَكُونُ اللَّهُ شَيْئًا, فَيُعَبِّرُ عَنِ اللَّهِ كَمَا كَوَّنَ شَيْئًا فَعَبَّرَ لِمُوسَى .

قُلْنَا فَمَنِ الْقَائِلُ ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ﴾ [1] .

أَلَيْسَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَسْأَلُ؟ قَالُوا هَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا يَكُونُ شَيْئًا فَيُعَبِّرُ عَنِ اللَّهِ قُلْنَا [2] قَدْ أَعْظَمْتُمْ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ حِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ, فَشَبَّهْتُمُوهُ بِالْأَصْنَامِ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ; لِأَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَتَكَلَّمُ, وَلَا تَتَحَرَّكُ, وَلَا تَزُولُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ .

فَلَمَّا ظَهَرَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ قَالَ إِنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ, وَلَكِنَّ كَلَامَهُ مَخْلُوقٌ قُلْنَا وَكَذَلِكَ بَنُو آدَمَ كَلَامُهُمْ مَخْلُوقٌ, فَقَدْ شَبَّهْتُمُ اللَّهَ بِخَلْقِهِ حِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّ كَلَامَهُ مَخْلُوقٌ, فَفِي مَذْهَبِكُمْ [3] قَدْ كَانَ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ أَلَّا يَتَكَلَّمَ حَتَّى خَلَقَ التَّكَلُّمَ, وَكَذَلِكَ بَنُو آدَمَ كَانُوا لَا يَتَكَلَّمُونَ حَتَّى خَلَقَ اللَّهُ لَهُمْ كَلَامًا, وَقَدْ جَمَعْتُمْ بَيْنَ كُفْرٍ وَتَشْبِيهٍ, وَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ هَذِهِ الصِّفَةِ, بَلْ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا إِذَا شَاءَ وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ كَانَ وَلَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى خَلَقَ الْكَلَامَ وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ كَانَ لَا يَعْلَمُ حَتَّى خَلَقَ عِلْمًا فَعَلِمَ وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ قَدْ كَانَ وَلَا قُدْرَةَ لَهُ حَتَّى خَلَقَ لِنَفْسِهِ الْقُدْرَةَ وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ قَدْ كَانَ وَلَا نُورَ لَهُ حَتَّى خَلَقَ لِنَفْسِهِ نُورًا وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ قَدْ كَانَ وَلَا عَظَمَةَ لَهُ حَتَّى خَلَقَ لِنَفْسِهِ عَظَمَةً .

فَقَالَتْ الْجَهْمِيَّةُ لَمَّا وَصَفْنَا اللَّهَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ وَنُورَهُ, وَاللَّهَ وَقُدْرَتَهُ, وَاللَّهَ وَعَظَمَتَهُ, فَقَدْ قُلْتُمْ بِقَوْلِ النَّصَارَى حِينَ زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ وَنُورَهُ, وَلَمْ يَزَلْ وَقُدْرَتَهُ .

قُلْنَا لَا نَقُولُ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ وَقُدْرَتَهُ, وَلَمْ يَزَلْ وَنُورَهُ وَلَكِنْ نَقُولُ لَمْ يَزَلْ بِقُدْرَتِهِ وَنُورِهِ, لَا مَتَى قَدَّرَ وَلَا كَيْفَ قَدَّرَ .

فَقَالُوا لَا تَكُونُوا مُوَحِّدِينَ أَبَدًا حَتَّى تَقُولُوا قَدْ كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ .

---

١ – سورة الأعراف آية : ٦.

٢ -في ب: قلنا لهم .

٣ – في (أ) سقطت أن الله قد كان.

فَقُلْنَا نَحْنُ نَقُولُ قَدْ كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ وَلَكِنْ إِذَا قُلْنَا إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ بِصِفَاتِهِ كُلِّهَا, أَلَيْسَ إِنَّمَا نَصِفُ إِلَهًا وَاحِدًا بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَضَرَبْنَا لَهُمْ فِي ذَلِكَ مَثَلًا, فَقُلْنَا أَخْبِرُونَا عَنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ, أَلَيْسَ لَهَا جِذْعٌ وَكَرَبٌ [1] وَلِيفٌ وَسَعَفٌ وَخُوصٌ وَجُمَارٌ [2] ؟ وَاسْمُهَا اسْمُ شَيْءٍ وَاحِدٍ, وَسُمِّيَتْ نَخْلَةٌ بِجَمِيعِ صِفَاتِهَا, فَكَذَلِكَ اللَّهُ [3] وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ إِلَهٌ وَاحِدٌ, لَا نَقُولُ إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ لَا يَقْدِرُ [4] حَتَّى خَلَقَ لَهُ قُدْرَةً, وَالَّذِي لَيْسَ لَهُ قُدْرَةٌ هُوَ عَاجِزٌ وَلَا نَقُولُ قَدْ كَانَ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ لَا يَعْلَمُ [5] حَتَّى خَلَقَ لَهُ عِلْمًا فَعَلِمَ, وَالَّذِي لَا يَعْلَمُ هُوَ جَاهِلٌ .

وَلَكِنْ نَقُولُ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَالِمًا قَادِرًا, لَا مَتَى وَلَا كَيْفَ, وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ رَجُلًا كَافِرًا اسْمُهُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ [6] فَقَالَ: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ ﴾ [7] وَقَدْ كَانَ هَذَا الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ "وَحِيدًا" لَهُ عَيْنَانِ وَأُذُنَانِ, وَلِسَانٌ وَشَفَتَانِ, وَيَدَانِ وَرِجْلَانِ, وَجَوَارِحُ كَثِيرَةٌ, فَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ "وَحِيدًا" بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ, فَكَذَلِكَ اللَّهُ –وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى– هُوَ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ إِلَهٌ وَاحِدٌ .

---

١ -أصول السعف الغليظة .

٢ – الجُمَّار (بالضم والتشديد): شحم النخل. وجَمَّر النخلة تجميرًا: قطع جمارها. "مختار الصحاح".

٣ -في ب: سبحانه وتعالى .

٤ – في ب: ولا قدرة له.

٥ -في ب: ولا علم له .

٦ – الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، كان يقال له: العدل، وسُمّشي: أوحد العرب، وأطلق عليه ريحانة قريش، وهو أحد قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعما قريش، في دار الندوة، ومن زنادقتها الذين حملوا لواء الكيد والتعذيب ضد أتباع الدعوة الإسلامية، تناوله القرآن من موضع، من ذلك في "سورة القلم": (ولا تطع كل حلاف مهين). وفيه وفي أصحابه نزل: (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون). "رجال نزل فيهم قرآن" للمحقق.

٧ -سورة المدثر آية : ١١ .

بَيَانُ مَا أَنْكَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَلَى الْعَرْشِ

فَقُلْنَا لِمَ [1] أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَلَى الْعَرْشِ, وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [2] .

وَقَالَ: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [3] .

فَقَالُوا هُوَ تَحْتَ الْأَرْضِ [4] السَّابِعَةِ كَمَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ, فَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ, وَفِي السَّمَاوَاتِ, وَفِي الْأَرْضِ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ, وَلَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ, وَلَا يَكُونَ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ وَتَلَوْا آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [5] .

فَقُلْنَا قَدْ عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ أَمَاكِنَ كَثِيرَةً لَيْسَ فِيهَا مِنْ عَظَمَةِ [6] الرَّبِّ شَيْءٌ فَقَالُوا أَيُّ مَكَانٍ .

فَقُلْنَا أَجْسَامُكُمْ وأَجْوافُكُمْ, وأَجْوَافُ الْخَنَازِيرِ وَالْحُشُوشِ, والْأَمَاكِنُ الْقَذِرَةُ لَيْسَ فِيهَا مِنْ عَظَمَةِ الرَّبِّ شَيْءٌ, وَقَدْ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ .

فَقَالَ: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ [7] .

﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ [1] .

---

١ - في ب: لما أنكرتم ذلك.

٢ -سورة طه آية : ٥ .

٣ - سورة الأعراف آية : ٥٤.

٤ -في ب: تحت الأرضين السابعة .

٥ - سورة الأنعام آية : ٣.

٦ -في ب: عظمة الله .

٧ -سورة الملك آية : ١٦ .

وَقَالَ: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [٢] .

وَقَالَ: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [٣] .

وَقَالَ: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ﴾ [٤] .

وَقَالَ: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ ﴾ [٥] .

وَقَالَ: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾ [٦] .

وَقَالَ: ﴿ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ ﴾ [٧] .

وَقَالَ: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ ﴾ [٨] .

وَقَالَ: ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥ ﴾ [٩] .

فَهَذَا خَبَرُ اللَّهِ, أَخْبَرَنَا أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ, وَوَجَدْنَا كُلَّ شَيْءٍ أَسْفَلَ مِنْهُ [١] مَذْمُومًا, يَقُولُ اللَّهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [٢] .

---

١ - سورة الملك آية : ١٧.

٢ -سورة فاطر آية : ١٠ .

٣ - سورة آل عمران آية : ٥٥.

٤ -سورة النساء آية : ١٥٨ .

٥ - سورة الأنبياء آية : ١٩.

٦ -سورة النحل آية : ٥٠ .

٧ - سورة المعارج آية : ٣.

٨ -سورة الأنعام آية : ١٨ .

٩ - سورة البقرة آية : ٢٥٥.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [٣] .

وَقُلْنَا لَهُمْ أَلَيْسَ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مَكَانَهُ وَالشَّيَاطِينُ مَكَانَهُمْ, فَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيَجْتَمِعَ هُوَ وَإِبْلِيسُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ, وَإِنَّمَا مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [٤] .

يَقُولُ هُوَ إِلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ, وَإِلَهُ مَنْ فِي الْأَرْضِ, وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ, قَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِمَا دُونَ الْعَرْشِ, وَلَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِ اللَّهِ مَكَانٌ, وَلَا يَكُونُ عِلْمُ اللَّهِ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ, فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ لِّتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [٥] .

وَمِنَ الِاعْتِبَارِ فِي ذَلِكَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ فِي يَدَيْهِ قَدَحٌ مِنْ قَوَارِيرَ صَافٍ, وَفِيهِ شَرَابٌ [٦] صَافٍ, كَانَ بَصَرُ ابْنِ آدَمَ قَدْ أَحَاطَ بِالْقَدَحِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ ابْنُ آدَمَ فِي الْقَدَحِ, فَاللَّهُ -وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى- قَدْ أَحَاطَ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ, مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ فِي شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ .

وَخَصْلَةٌ أُخْرَى لَوْ أَنَّ رَجُلًا بَنَى دَارًا بِجَمِيعِ مَرَافِقِهَا, ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهَا وَخَرَجَ مِنْهَا, كَانَ ابْنُ آدَمَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ كَمْ بَيْتٍ فِي دَارِهِ, وَكَمْ سَعَةَ كُلِّ بَيْتٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ الدَّارِ فِي جَوْفِ الدَّارِ,

---

١ -سقطت من ب: كلمة منه .

٢ - سورة النساء آية : ١٤٥.

٣ -سورة فصلت آية : ٢٩ .

٤ - سورة الأنعام آية : ٣.

٥ -سورة الطلاق آية : ١٢ .

٦ - في ب: وفيه شيء كان بصر.

فَاللَّهُ -وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى- قَدْ أَحَاطَ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ [1] وَعَلِمَ [2] كَيْفَ هُوَ, وَمَا هُوَ, مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ فِي شَيْءٍ مِمَّا خَلَقَ .

١ -في ب: بجميع ما خلق .

٢ - في ب: وقد علم.

بَيَانُ مَا تَأَوَّلَتِ الْجَهْمِيَّةُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ:

﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ (١)

قَالُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا وَفِينَا فَقُلْنَا (٢) اللَّهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- يَقُولُ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (٣) .

ثُمَّ قَالَ: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ (٤) يَعْنِي اللَّهُ بِعِلْمِهِ ﴿ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ ﴾ (٥) يَعْنِي اللَّهُ بِعِلْمِهِ ﴿ سَادِسُهُمْ ﴾ (٦) .

﴿ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾ (٧) يَعْنِي بِعِلْمِهِ فِيهِمْ .

﴿ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ بِسْمِ ﴾ (٨) .

---

١ -سورة المجادلة آية : ٧ .

٢ – في ب: فقلنا لما قطعتم الجزء من أوله: إن الله يقول.

٣ -سورة المجادلة آية : ٧ .

٤ – سورة المجادلة آية : ٧.

٥ -سورة المجادلة آية : ٧ .

٦ – سورة المجادلة آية : ٧.

٧ -سورة المجادلة آية : ٧ .

٨ – سورة المجادلة آية : ٧.

يَفْتَحُ الْخَبَرَ بِعِلْمِهِ, وَيَخْتِمُ الْخَبَرَ بِعِلْمِهِ, وَيُقَالُ لِلْجَهْمِيِّ إِنَّ اللَّهَ إِذَا كَانَ مَعَنَا بِعَظَمَةِ نَفْسِهِ فَقُلْ لَهُ هَلْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ .

فَإِنْ قَالَ [1] نَعَمْ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ دُونَهُ, وَإِنْ قَالَ لَا كَفَرَ .

وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْجَهْمِيَّ كَاذِبٌ عَلَى اللَّهِ حِينَ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ, وَلَا يَكُونُ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ, فَقُلْ أَلَيْسَ اللَّهُ كَانَ وَلَا شَيْءَ .

فَيَقُولُ نَعَمْ .

فَقُلْ لَهُ حِينَ خَلَقَ الشَّيْءَ خَلَقَهُ فِي نَفْسِهِ أَوْ خَارِجًا مِنْ نَفْسِهِ؟ فَإِنْ يَصِيرُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهَا .

إِنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فِي نَفْسِهِ كَفَرَ, حِينَ زَعَمَ أَنَّ الْجِنَّ [2] وَالْإِنْسَ وَالشَّيَاطِينَ فِي نَفْسِهِ .

وَإِنْ قَالَ خَلَقَهُمْ خَارِجًا مِنْ نَفْسِهِ ثُمَّ دَخَلَ فِيهِمْ, كَانَ هَذَا كُفْرًا أَيْضًا.

بَيَانُ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ [3]

وَهَذَا عَلَى وُجُوهٍ :

قَالَ اللَّهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لِمُوسَى: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا ﴾ [4] يَقُولُ فِي الدَّفْعِ عَنْكُمَا .

وَقَالَ: ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [1] يَقُولُ فِي الدَّفْعِ عَنَّا .

---

١ -في ب: فإن قال الجهمي .

٢ - في ب: أنه خلق الخلق والشياطين وإبليس في نفسه.

٣ -سورة الحديد آية : ٤ .

٤ - سورة طه آية : ٤٦.

قَالَ: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [٢] يَقُولُ فِي النَّصْرِ لَهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ .

وَقَالَ: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ [٣] فِي النَّصْرِ لَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ .

وَقَالَ: ﴿ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ [٤] يَقُولُ بِعِلْمِهِ فِيهِمْ .

وَقَالَ: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [٥] قَالَ: ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ [٦] يَقُولُ فِي الْعَوْنِ عَلَى قُرَيْشٍ .

فَلَمَّا ظَهَرَتِ الْحُجَّةُ عَلَى الْجَهْمِيِّ بِمَا ادَّعَى عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ مَعَ خَلْقِهِ [٧] قَالَ هُوَ فِي كُلِّ شَيْءٍ, غَيْرُ مُمَاسٍّ لِشَيْءٍ وَلَا مُبَايِنٌ مِنْهُ فَقُلْنَا إِذَا كَانَ غَيْرَ مُبَايِنٍ أَلَيْسَ هُوَ مُمَاسٌّ؟ .

قَالَ لَا قُلْنَا فَكَيْفَ يَكُونُ فِي كُلِّ شَيْءٍ غَيْرَ مُمَاسٍّ لِشَيْءٍ وَلَا مُبَايِنٌ فَلَمْ يُحْسِنِ الْجَوَابَ, فَقَالَ بِلَا كَيْفٍ فَيَخْدَعُ جُهَّالَ [٨] النَّاسِ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ, وَمَوَّهَ عَلَيْهِمْ .

---

١ -سورة التوبة آية : ٤٠ .

٢ – سورة البقرة آية : ٢٤٩.

٣ -سورة محمد آية : ٣٥ .

٤ – سورة النساء آية : ١٠٨.

٥ -سورة الشعراء آية : ٦١ .

٦ – سورة الشعراء آية : ٦٢.

٧ -

٨ – في ب: فخدع الجهال بهذه الكلمة.

فَقُلْنَا أَلَيْسَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ,أَلَيْسَ إِنَّمَا هُوَ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْعَرْشِ وَالْهَوَاءِ؟ قَالَ بَلَى فَقُلْنَا فَأَيْنَ يَكُونُ رَبُّنَا؟ فَقَالَ يَكُونُ فِي كُلِّ شَيْءٍ .

حِينَ زَعَمَ أَنَّهُ دَخَلَ فِي مَكَانٍ وَحْشٍ قَذِرٍ رَدِيءٍ .

وَإِنْ قَالَ خَلَقَهُمْ خَارِجًا مِنْ نَفْسِهِ ثَمَّ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِمْ, رَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ أَجْمَعَ, وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ .

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْجَهْمِيَّ لَا يُقِرُّ بِعِلْمِ اللَّهِ فَقُلْ لَهُ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾ (١) .

وَقَالَ: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ ﴾ (٢) .

وَقَالَ: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن ﴾ (٣) .

وَقَالَ: ﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾ (٤) .

فَيُقَالُ لَهُ تُقِرُّ بِعِلْمِ اللَّهِ هَذَا الَّذِي أَوْقَفَكَ (٥) عَلَيْهِ بِالْأَعْلَامِ وَالدَّلَالَاتِ أَمْ لَا؟ فَإِنْ قَالَ لَيْسَ لَهُ عِلْمٌ كَفَرَ .

وَإِنْ قَالَ لِلَّهِ عِلْمٌ مُحْدَثٌ كَفَرَ حِينَ زَعَمَ (٦) أَنَّ اللَّهَ قَدْ كَانَ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ لَا يَعْلَمُ, حَتَّى أَحْدَثَ لَهُ عِلْمًا فَعَلِمَ .

---

١ -سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

٢ – سورة النساء آية : ١٦٦.

٣ -سورة هود آية : ١٤ .

٤ – سورة فصلت آية : ٤٧.

٥ -في ب: وقفك عليه .

٦ – في ب: حين يزعم.

فَإِنْ قَالَ لِلَّهِ [١] عِلْمٌ وَلَيْسَ مَخْلُوقًا وَلَا مُحْدَثًا, رَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ كُلِّهِ, وَقَالَ بِقَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ [٢] . كَمَا كَانَ حِينَ كَانَ [٣] فِي الدُّنْيَا فِي كُلِّ شَيْءٍ .

فَقُلْنَا فَإِنَّ [٤] مَذْهَبَكُمْ إِنَّ مَا كَانَ مِنْ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ فَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ, وَمَا كَانَ مِنْ اللَّهِ فِي الْجَنَّةِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ, وَمَا كَانَ مِنْ اللَّهِ فِي النَّارِ فَهُوَ فِي النَّارِ, وَمَا كَانَ مِنْ اللَّهِ فِي الْهَوَاءِ فَهُوَ فِي الْهَوَاءِ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ تَبَيَّنَ [٥] كَذِبُهُمْ عَلَى اللَّهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- .

وَزَعَمَتِ الْجَهْمِيَّةُ أَنَّ اللَّهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- فِي الْقُرْآنِ إِنَّمَا هُوَ اسْمٌ مَخْلُوقٌ فَقُلْنَا قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ هَذَا الِاسْمُ, مَا كَانَ اسْمُهُ؟ .

قَالُوا لَمْ يَكُنْ لَهُ اسْمٌ .

فَقُلْنَا وَكَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْعِلْمَ أَكَانَ جَاهِلًا لَا يَعْلَمُ, حَتَّى يَخْلُقَ لِنَفْسِهِ عِلْمًا, وَكَانَ لَا نُورَ لَهُ حَتَّى يَخْلُقَ لِنَفْسِهِ نُورًا, وَكَانَ وَلَا قُدْرَةَ لَهُ حَتَّى يَخْلُقَ لِنَفْسِهِ قُدْرَةً .

فَعَلِمَ الْخَبِيثُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَضَحَهُ [٦] وَأَبْدَى عَوْرَتَهُ حِينَ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- فِي الْقُرْآنِ إِنَّمَا هُوَ اسْمٌ مَخْلُوقٌ .

وَقُلْنَا لِلْجَهْمِيَّةِ لَوْ أَنَّ رَجُلًا حَلَفَ بِاللَّهِ -الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ- كَاذِبًا كَانَ لَا يَحْنَثُ; لِأَنَّهُ حَلَفَ بِشَيْءٍ مَخْلُوقٍ, وَلَمْ يَحْلِفْ بِالْخَالِقِ, فَفَضَحَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ .

---

١ -في ب: لله تعالى علم .

٢ - روي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منهم واحدة والباقون هلكى. قيل ومن الناجية؟ قال: أهل السنة والجماعة. قيل: وما السنة والجماعة؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي".

٣ -في ب: حيث كانت في الدنيا .

٤ - في ب: فإن كان في مذهبكم.

٥ -في ب: تبين للناس كذبهم .

٦ - في ب: قد فضحه للناس.

وَقُلْنَا لَهُ أَلَيْسَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَالْخُلَفَاءُ مِنْ بَعْدِهِمْ, وَالْحُكَّامُ وَالْقُضَاةُ, إِنَّمَا كَانُوا يُحَلِّفُونَ النَّاسَ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؟ فَكَانُوا فِي مَذْهَبِهِمْ [1] مُخْطِئِينَ, إِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي لِلنَّبِيِّ – عَلَيْهِ السَّلَامُ– وَلِمَنْ بَعْدَهُ فِي مَذْهَبِكُمْ أَنْ يَحْلِفُوا [2] بِالَّذِي اسْمُهُ اللَّهُ, وَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَقُولُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي خَلَقَ اللَّهَ, وَإِلَّا لَمْ يَصِحَّ تَوْحِيدُهُمْ, فَفَضَحَهُ اللَّهُ بِمَا ادَّعَى [3] مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ .

وَلَكِنْ نَقُولُ إِنَّ اللَّهَ هُوَ اللَّهُ, وَلَيْسَ اللَّهُ بِاسْمٍ, إِنَّمَا الْأَسْمَاءُ شَيْءٌ سِوَى اللَّهِ; لِأَنَّ اللَّهَ إِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ فَبِأَيِّ شَيْءٍ خَلَقَ الْخَلْقَ؟ .

قَالُوا أَمَوْجُودٌ عَنْ اللَّهِ أَنَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقَوْلِهِ وَبِكَلَامِهِ؟ .

وَحِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [4] (سورة النحل، آية رقم ٤٠). .

فَقَالُوا إِنَّمَا مَعْنَى "قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ" يَكُونُ قُلْنَا فَلِمَ أَخْفَيْتُمْ أَنْ يَقُولَ لَهُ؟ فَقَالُوا: إِنَّمَا مَعْنَى كُلِّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ مَعَانِيهِ, وَقَالَ اللَّهُ مِثْلَ قَوْلِ الْعَرَبِ, قَالَ الْحَائِطُ, وَقَالَتْ النَّخْلَةُ فَسَقَطَتْ [5] فَالْجَهْمِيَّةُ لَا يَقُولُونَ بِشَيْءٍ, فَقُلْنَا عَلَى هَذَا أَفْتَيْتُمْ؟ [6] ؟ .

قَالُوا نَعَمْ .

فَقُلْنَا فَبِأَيِّ شَيْءٍ خَلَقَ الْخَلْقَ إِنْ كَانَ اللَّهُ فِي مَذْهَبِكُمْ لَا يَتَكَلَّمُ؟ .

---

١ -في ب: فكانوا في مذهبكم مخطئين .

٢ – في ب: أن يحلفوا بالله.

٣ -في ب: لما أبدى على الله الكذب .

٤ – سورة النحل آية : ٤٠.

٥ -في ب: والحائط والنخلة لا يقولون شيئًا .

٦ – في ب: قسم.

فَقَالُوا بِقُدْرَتِهِ فَقُلْنَا [1] هِيَ شَيْءٌ؟ قَالُوا نَعَمْ فَقُلْنَا قُدْرَتُهُ مَعَ الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ؟ قَالُوا نَعَمْ .

فَقُلْنَا كَأَنَّهُ خَلَقَ خَلْقًا بِخَلْقٍ, وَعَارَضْتُمْ الْقُرْآنَ وَخَالَفْتُمُوهُ حِينَ قَالَ اللَّهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [2] .

فَأَخْبَرَنَا اللَّهُ أَنَّهُ يَخْلُقُ, وَقَالَ: ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ [3] .

فَإِنَّهُ [4] لَيْسَ أَحَدٌ يَخْلُقُ غَيْرُهُ, وَزَعَمْتُمْ أَنَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ غَيْرُهُ, فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ عُلُوًّا كَبِيرًا .

---

١ -في ب: قدرته هي شيء .

٢ – سورة الأنعام آية : ١٠١.

٣ -سورة فاطر آية : ٣ .

٤ – في ب: أي أنه ليس يخلق غيره.

بَيَانُ [1] مَا ادَّعَتِ الْجَهْمِيَّةُ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي رُوِيَتْ

فَقَالُوا: جَاءَ الْحَدِيثُ: إِنَّ الْقُرْآنَ يَجِيءُ فِي صُورَةِ الشَّابِّ الشَّاحِبِ، فَيَأْتِي صَاحِبُهُ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا الْقُرْآنُ، أَظْمَأْتُ نَهَارَكَ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ.

قَالَ: فَيَأْتِي بِهِ اللهُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ.

فَادَّعَوْا أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ مِنْ قِبَلِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ. فَقُلْنَا لَهُمْ: "الْقُرْآنُ لَا يَجِيءُ إِلَّا بِمَعْنَى أَنَّهُ قَدْ جَاءَ: ﴿ مَنْ قَرَأَ: "قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ" ﴾ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا.

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ مَنْ قَرَأَ: "قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ" لَا يَجِيئُهُ [2] إِلَّا بِثَوَابِهِ؛ لِأَنَّا نَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ؛ لِأَنَّ كَلَامَ اللهِ لَا يَجِيءُ وَلَا يَتَغَيَّرُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ .

وَإِنَّمَا مَعْنَى "أَنَّ الْقُرْآنَ يَجِيءُ": إِنَّمَا يَجِيءُ ثَوَابُ الْقُرْآنِ. يَا رَبِّ". .

بَيَانُ مَا تَأَوَّلَتِ الْجَهْمِيَّةُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾ [3]

فَزَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ [4] هُوَ قَبْلَ الْخَلْقِ, فَصَدَّقُوا وَقَالُوا يَكُونُ الْآخِرُ بَعْدَ الْخَلْقِ, فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ, وَلَا أَرْضٌ, وَلَا جَنَّةٌ وَلَا نَارٌ, وَلَا ثَوَابٌ وَلَا عِقَابٌ، وَلَا عَرْشٌ وَلَا كُرْسِيٌّ .

وَزَعَمُوا أَنَّ شَيْئًا مَعَ اللَّهِ لَا يَكُونُ, هُوَ الْآخِرُ كَمَا كَانَ, فَأَضَلُّوا بِهَذَا بَشَرًا كَثِيرًا .

وَقُلْنَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ عَنْ الْجَنَّةِ وَدَوَامِ أَهْلِهَا فِيهَا فَقَالَ: ﴿ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [1] .

---

١ -في ب: باب بيان .

٢ -في ب: لا يجيئه بل يجيئه ثوابه .

٣ - سورة الحديد آية : ٣.

٤ -في ب: أن الله هو الأول .

فَإِذَا قَالَ -جَلَّ وَجْهُهُ-: ﴿ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [٢] وَقَالَ: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ﴾ [٣] وَقَالَ: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ ﴾ [٤] فَإِذَا قَالَ اللَّهُ دَائِمٌ لَا يَنْقَطِعُ أَبَدًا .

وَقَالَ: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [٥] .

وَقَالَ: ﴿ وَإِنَّ ٱلْأَخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [٦] .

وَقَالَ: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [٧] .

وَقَالَ: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ﴾ [٨] .

وَقَالَ: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [٩] .

وَقَالَ: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [١٠] وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ .

---

١ - سورة التوبة آية : ٢١.

٢ -سورة التوبة آية : ٢١ .

٣ - سورة التوبة آية : ٢٢.

٤ -سورة الرعد آية : ٣٥ .

٥ - سورة الحجر آية : ٤٨.

٦ -سورة غافر آية : ٣٩ .

٧ - سورة العنكبوت آية : ٦٤.

٨ -سورة التوبة آية : ٢٢ .

٩ - سورة آل عمران آية : ١٠٧.

١٠ -سورة الواقعة آية : ٣٢ .

وَذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ فَقَالَ: ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ ﴾ [1]

.

وَقَالَ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى ﴾ [2] .

وَقَالَ: ﴿ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ﴾ [3] .

وَقَالَ: ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [4] .

وَقَالَ: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [5] .

وَقَالَ: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾ [6] .

وَقَالَ: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [7] .

وَقَالَ: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا ﴾ [8] .

وَقَالَ: ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ ﴾ [9] وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ .

---

١ – سورة فاطر آية : ٣٦.

٢ -سورة العنكبوت آية : ٢٣ .

٣ – سورة الأعراف آية : ٤٩.

٤ -سورة الزخرف آية : ٧٧ .

٥ – سورة إبراهيم آية : ٢١.

٦ -سورة البينة آية : ٦ .

٧ – سورة النساء آية : ٥٦.

٨ -سورة السجدة آية : ٢٠ .

٩ – سورة الهمزة آية : ٨.

وَأَمَّا السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ فَقَدْ بَادَتَا [1] ؛ لِأَنَّ أَهْلَهَا صَارُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ, وَأَمَّا الْعَرْشُ فَلَا يَبِيدُ وَلَا يَذْهَبُ; لِأَنَّهُ سَقْفُ الْجَنَّةِ, وَاللَّهُ عَلَيْهِ, فَلَا يَهْلِكُ وَلَا يَبِيدُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [2] وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [3] .

قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ هَلَكَ أَهْلُ الْأَرْضِ وَطَمِعُوا فِي الْبَقَاءِ, فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةً يُخْبِرُ عَنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ, فَقَالَ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ "هَالِكٌ" -يَعْنِي مَيِّتٌ- "إِلَّا وَجْهَهُ", أَنَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ, فَأَيْقَنُوا [4] عِنْدَ ذَلِكَ بِالْمَوْتِ .

وَقُلْنَا لِلْجَهْمِيَّةِ -حِينَ زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ- فَقُلْنَا أَخْبِرُونَا عَنْ قَوْلِ اللَّهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ ﴾ [5] .

لِمَ يَتَجَلَّ لِلْجَبَلِ إِنْ كَانَ فِيهِ بِزَعْمِهِمْ فَلَوْ كَانَ فِيهِ كَمَا تَزْعُمُونَ لَمْ يَكُنْ يَتَجَلَّى لِشَيْءٍ هُوَ فِيهِ, وَلَكِنَّ اللَّهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَى الْعَرْشِ, وَتَجَلَّى لِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ فِيهِ, وَرَأَى الْجَبَلَ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ رَآهُ قَبْلَ ذَلِكَ .

وَقُلْنَا لِلْجَهْمِ فَاللَّهُ نُورٌ؟ فَقَالَ هُوَ نُورٌ كُلُّهُ فَقُلْنَا فَاللَّهُ قَالَ: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [6].

فَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّ لَهُ نُورًا, فَقُلْنَا أَخْبِرُونَا حِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَهُوَ نُورٌ, فَلِمَ لَا يُضِيءُ الْبَيْتَ الْمُظْلِمَ مِنَ النُّورِ الَّذِي هُوَ فِيهِ -إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ .

---

١ -في ب: فقد زالتا .

٢ - سورة القصص آية : ٨٨.

٣ -سورة الرحمن آية : ٢٦ .

٤ - في ب: فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت.

٥ -سورة الأعراف آية : ١٤٣ .

٦ - سورة الزمر آية : ٦٩.

وَمَا بَالُ السِّرَاجِ إِنْ أُدْخِلَ الْبَيْتَ [1] يُضِيءُ ؟ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ تَبَيَّنَ لِلنَّاسِ كَذِبُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى .

فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ, وَرَجَعَ عَنِ الْقَوْلِ الَّذِي يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ, وَقَالَ بِقَوْلِ الْعُلَمَاءِ, وَهُوَ قَوْلُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ, وَتَرَكَ دِينَ الشَّيْطَانِ, وَدِينَ جَهْمٍ وَشِيعَتِهِ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ, وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ, وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

آخِرُ الْكِتَابِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ

مِيزَانُ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ﴿ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ﴾ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الْحَدِيثُ الثَّانِي

رَدُّ مَا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّـــنَّةِ

١ -في ب: إذا أدخل البيت المظلم .

عَنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ ﴾ – وَفِي رِوَايَةٍ: ﴿ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا ؛ فَهُوَ رَدٌّ ﴾ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الْحَدِيثُ الثَّالِثُ

الدِّينُ النَّصِيحَةُ

عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّه ﴾